

احمد عبيدي فتح الدين

# وصايا القرآن

## التربوية والاجتماعية



DUTA MEDIA UTAMA

وصايا القرآن  
التربوية والاجتماعية



DUTA MEDIA UTAMA

Jl. Apel Elak A1 No. 23  
Perum Pisma Griya Permai 2  
Pekalongan

ISBN 978-602-1195-44-4



9 786021 195444

# وصايا القرآن التربوية والاجتماعية

الكاتب

أحمد عبيدي فتح الدين

تصميم الغلاف

أحمد زيد

المطبعة

**DUTA MEDIA UTAMA**

Jl. Apel Blok A1 No 23 Pisma Griya Permai 2

Pekalongan

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى. نوفمبر ٢٠١٦ م

ISBN : 978-602-1195-44-4

## التمهيد

### مفهوم الوصية والفرق بينها وبين النصيحة

#### المبحث الأول

#### مفهوم الوصية

#### الأول : مفهوم الوصية في اللغة

الوصية في اللغة الايصال من وصى الشيء بكذا، وصل به يقال أوصى الرجل ووصاه أي عهد إليه. والإسم الوصاة، والوصاية، والوصاية. والوصية أيضا: ما أوصيت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت. والوصي الذي يوصي، والذي يوصي له، وهو من الأضداد.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري،

مادة (وصي): ج ١٤-١٥ ص ٣٩٥، دار صادر بيروت (د.ت)

## الثاني : مفهوم الوصية في القرآن الكريم

ذكرت كلمة الوصية في القرآن الكريم تسعة وعشرين مرّة مبثوثة في ثلاث عشرة سورة من سور القرآن وبصيغ مختلفة مفيدة معنى التأكيد على أمر من الأمور وما يتبعه من الالتزام بشأن الأمور به، فهي تشمل كلّ معاني الخير والصلاح مع صحّة الاعتقاد واستقامة التطبيق.

فيما يلي جدول ألفاظ الوصية في القرآن الكريم:

1. سورة البقرة – الآيات : 132، 180، 182، ٢٠٤
2. سورة النساء – الآيات : 11، 12، 131
3. سورة المائدة – الآية : ١٠٦
4. سورة الأنعام – الآيات : 144، 151، 152، 153
5. سورة مريم – الآية : ٣١
6. سورة العنكبوت – الآية : ٨
7. سورة لقمان – الآية : ١٤
8. سورة يس – الآية : ٥٠
9. سورة الشورى – الآية : ١٣
10. سورة الأحقاف – الآية : ١٥
11. سورة الذاريات – الآية : ٥٣
12. سورة البلد – الآية : ١٧
13. سورة العصر – الآية : ٣

### التفسير التربوي |3

وإذا أنعنا النظر في معاني صيغ لفظة الوصية في الجدول السابقة رأينا أن لفظة الإيضاء أبلغ وأدل من مطلق أمر أو نهي، لأن فيه طلب حصول شئ بسرعة مع الحرص عليه والتمسك به. فلا تطلق إلى حيث يخاف الفوات، لأن الوصية يقصد بها وعي السامع بعمل المستقبل.

ومن ذلك وصية الله جل جلاله في سورة الأنعام، قال تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ آلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ۖ إِنَّكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢١٢ ﴾

ففي لفظ "وصاكم" من اللطف والرأفة، وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان.<sup>3</sup>

ومثال آخر، وصية الله سبحانه لسيدنا عيسى عليه السلام في سورة مريم

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۗ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَادِ صَبِيًّا ۗ ﴾

<sup>2</sup> الآية: ١٥١.

<sup>3</sup> تفسير النهر الماد من البحر المحيط: لابي حيان الاندلسي، وضبط بوران وهديان الصناوي (ج١-ص٧٦٩) مؤسسة الكتاب الثقافية - لبنان، الطبعة الاولى، ١٤٠٧ هـ -

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٤﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٥﴾

وفي وصية الوالدين قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا <sup>ط</sup> وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا <sup>ح</sup> إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>٥</sup>﴾

وإذا رجعنا إلى سياق الآيات الثلاث، نجد أنّ لفظ الوصية يفيد معنى الأمر بشئ - على سبيل التأكيد- مع تحريض على إيقاعه والعمل به. وبهذا نجد، أنّ مفهوم الوصية في القرآن الكريم لا ينحصر فقط في تمليك مضاف إلى ما بعد الموت، ولم يقتصر أيضا على ما يوجه الإنسان إلى خلفائه في تلك الحالة، بل توسّع الاستعمال في قول كريم عزيز مفيد ونافع نحو ما هو واجب من فضائل النفس والسلوك.

### الثالث : مفهوم الوصية في الحديث النبوي الشريف

إنّ مفهوم لفظ الوصية في الحديث لم يكن مختلفا بما جاء في القرآن الكريم، فهي لم تقتصر فقط في التمليك إلى ما بعد الموت بل توسّع الاستعمال في كل قول

<sup>4</sup>الآية: ٢٩-٣٠

5سورة العنكبوت - الآية: ٨

فيه أمر بشئ نافع جامع لخير كثير ممّا يدلّ على أنّ استعمال التوصية ظلّ مرتبطاً بإرادة الخير بما فيه صلاح وخير للغير على سبيل الإلزام.

والمثال على ذلك، ما روي عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال:

صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنّ هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنّ عبداً جبشياً، فإنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين تمسكوا بها وعصّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدّثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة".<sup>6</sup>

قولهم "أوصينا" ينعون وصية جامعة كافية فإنّهم لما فهموا أنّه مودّع استوصوا وصية ينفعهم التمسك بها بعده ويكون فيها كفاية لمن تمسك بها وسعادة له في الدّنيا والآخرة، وقوله عليه الصلاة والسلام "أوصيكم بتقوى الله و السمع و الطاعة" فهاتان الكلمتان يجمعان سعادة الدّنيا والآخرة.

من هنا يتبيّن لنا، أنّ استعمال لفظ التوصية في الحديث الشريف لا تخصّص على ما يعهده به الإنسان فيما يصنع بأبنائه أو بماله بعد الموت، بل تشمل أيضاً كلّ أمر بفعل شئ أو تركه لما فيه خير ونفع للمأمور على سبيل الإلزام مع تحريض إيقاعه والعمل به تنبيهاً لهم على الاحتراز من التفويت.

<sup>6</sup> الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة - باب في لزوم السنة (ج ٤ -

ص ٢٠١)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت (د.ت)

## المبحث الثاني

### علاقة الوصية بالنصيحة والفرق بينهما

#### الأول : مفهوم النصيحة

أصل النصح في اللغة : الخلوص، وهو من قولهم "نصحت له الودّ" أي أخلصته. الناصح بمعنى الخالص من العسل وغيره، وكل شئ خالص فقد نصح، والتوبة النصوح أي الخالصة و قيل هي أن لا يرجع العبد إلى ما تاب عنه.<sup>7</sup>

والنصيحة كلمة جامعةٌ يعرّب بها عن حسن التّية وإرادة الخير من قول أو عمل، ويكثر إطلاقها على القول الذي فيه تنبيه للمخاطب إلى ما ينفعه ويدفع عنه الضرر.<sup>8</sup>

لهذا، جاءت كلمة النصيحة في القرآن العظيم غالبا بعد الحديث عن مشهد الذي يثير في النفس معنى الخير والفضيلة، ممّا يربط المعنى الأخلاقي بمفهوم النصيحة. ومن ذلك قول سبحانه وتعالى على لسان سيّدنا نوح عليه السلام لقومه فقال ﴿

أَبْلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

<sup>7</sup> لسان العرب : مادة (نصح)، ج ١٣ - ص ٦١٥.

<sup>8</sup> التحر والتتوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (ج ٨ - ص ١٩٤)، الدار التونسية للنشر،

الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع والاعلان، (د.ت)

تَعَلَّمُونَ ﴿٩﴾. وهذا المعنى يقترب مع معنى الوصية في كون كلٍّ منهما يريد منفعة

المخاطب، مع الفارق في شبيهه كلٍّ منهما - كما سيأتي.

وهذا يؤكد ارتباط المعنى لمفهوم الوصية والنصيحة وتقاربهما في القرآن العظيم،  
بأنه تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه بكل خلوص النية، خال من التقصير  
والفساد، غير أنّ أكثر ما يطلق على القول الذي فيه صلاح صاحبه.

**الثاني : علاقة النصيحة بالوصية والفرق بينهما**

**أ. علاقة النصيحة بالوصية**

بين النصيحة والوصية علاقة تربط بعضها بعضا، من هذه العلاقة :

١. أنّ لكلّ من النصيحة والوصية ترمى عموما إلى هدف واحد وهو إصلاح  
الفرد مع إرشاده إلى طريق مستقيم بالدعوة إلى الحق، مع نية خالصة  
تقرّبا لله وحده.

٢. أنّ لكلّ من النصيحة والوصية له أسلوب متقارب وهو عبارة قصيرة ورفيقة  
حيث يقصد بها التوضيح وسهولة الفهم.

**ب. الفرق بين النصيحة والوصية**

---

<sup>9</sup>سورة الأعراف - الآية: ٦٢، ومثل آخر، جاء في قوله تعالى على لسان سيّدنا هود  
عليه السلام في سورة الأعراف: ٦٨، وعلى لسان سيدنا صالح في نفس السّورة: ٧٩، ثم على  
لسان سيّدنا شعيب في نفس السّورة أيضا: ٩٣

ومع هذا فإن النصيحة قد تختلف بالوصية من عدة وجوه،

منها :

١. الوصية أعم من النصيحة، فكل نصيحة وصية وليست كل وصية هي النصيحة.

٢. تطلب من الوصية الاهتمام بأمر والتأكيد عليه مع لزوم التمسك به، فغالبا لا يطلق الإيضاء إلا في حيث يخاف منه الفوات، لهذا جعل الأمر بالتقوى وصية في قوله تعالى ﷻ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ**

**أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ**

10 ﴿

وأما النصيحة فإنه يرعّب في الطاعة ويحدّره عن المعصية، وبشكل عام تدور النصيحة على أمرين، وهما: أولا- تحصيل مصالح وهو قيام بالمعروف، وثانيا- درء مفسدات وهو إزالة للمنكر. وقال الإمام الرازي عن النصيحة في تفسيره: "هو الإرسال إلى المصلحة مع خلوص النية".<sup>11</sup>

<sup>10</sup>سورة النساء - الآية: ١٣١

<sup>11</sup>مفاتيح الغيب: للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر (ج ١٤ - ص

١٨٧)، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٧٥ م

## المبحث الثالث

### تحديد مفهوم الوصية

بعد أن انتهينا من بيان ما يتعلّق بالوصية وعلاقتها بالنصيحة، نريد أن نحدّد

في نهايتها عن مفهوم الوصية.

إن مفهوم الوصية التي قصدناها ليست هي الوصية بمفهومها الفقهيّ التي تنحصر في "تمليك مضاف إلى ما بعد الموت"، وإمّا كل ما يمكن تقديمه من قول بما فيه صلاح وخير للغير، حيث تستهدف الوصية عموماً إلى الإصلاح والإقبال على العمل الصالح وانتشار الفضائل.

وبناء على ما قلنا أنّ كلمة الوصية لم تقتصر استعمالها على ما يواجهه إلى خلفائه حالة الموت، بل توسّع الاستعمال في كلّ قول عزيز يحرص الموصى على توجيهه إلى الموصى له.

فيرى الكاتب، أن مفهوم الوصية يمكن تحديده بأنّه "العهد إلى الموصى بأمر من الأمور كي يفعل، يهتمّ له الموصى ويعني به لشدة صلاحه ويكون للموصى فيه حظ ومنفعة، وبذلك كان أسلوب الوصية أشدّ حفزاً إلى القيام بالمطلوب، وهي تقتزن في العادة بوعظ لكي يحبّب قائل الوصية من يوصيه في عمل الخير".

فالوصية تستحضر مع الأشياء المهمة، والوصية كأسلوب يتحدّد في أنه يخص أمهات المسائل التي يجب على الإنسان أن لا يقصر فيها وخاصة تلك التي تخص الدين، والقضايا التي جاءت بها الوصايا واحدة في جميع الأديان لأنها تعد من الأمور الواجبة.

ومن شروط الوصية أن تكون لها أهمية كبيرة، وهي كأسلوب استخدمه الرسل والأنبياء مع أقبامهم، وختامها الوصية التي أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بما المسلمين في حجة الوداع والتي تتعلق بالأمر والمسائل المهمة المرتبطة بالدين والتي تم المسلمون جميعا.

## الفصل الأول

### الوصية برعاية حقوق الوالدين

حظيت حقوق الوالدين في الإسلام برعاية أهل هذا الدين الحنيف بحيث لم يبلغ اهتمام ورعاية حقهما مبلغا في أمة مبلغها في الإسلام، بل جعلها الإسلام أكبر الحقوق وأعظمها بعد حق الله سبحانه وتعالى، كما قرن شكرهما بشكره نحو في قوله تبارك وتعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>12</sup> وأيضا في قوله ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ

الْمَصِيرُ﴾<sup>13</sup>

---

<sup>12</sup>سورة الإسراء - الآية ٢٣ .

<sup>13</sup>سورة لقمان - الآية 14، وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود صلى الله عليه وسلم قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي العمل أحب إلى الله؟"، قال: "الجهاد في سبيل الله". قال حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أستزدت زرادني. الحديث رواه البخاري ومسلم.

جاءت آيات الوصية بالوالدين في خمس سور من القرآن الكريم، من ذلك

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ الْآ

تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

مِمَّنْ إِمْلَقْنَا نَحْنُ نَنْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ

اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

والقرآن الكريم يوحي بهذا التعبير (وبالوالدين إحسانا) من غير (ولا تسيئوا

إلى الوالدين) لأن إساءة الوالدين ليس من شأنها أن تقع من الناس حتى يحتاج إلى

النهي عنها، ومن جهة أخرى أن الخير المنتظم من هذه الوصية وهو إكرام الوالدين

مع القيام بمطالبتهم إنما يترتب على الإحسان وليس على مجرد ترك الإساءة.

فتح الباري: كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل الصلاة لوقتها (ج ٢ - ص ٩)

صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (ج ١

- ص ٢٥٦، ٢٥٦)

فهذا الحديث يدل أن برّ الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم

الإسلام.

<sup>14</sup>سورة الأنعام - الآية ١٥١، والوصية بالوالدين الأخرى جاءت في سورة الإسراء -

الآية ٢٣ - ٢٥، وفي سورة العنكبوت - الآية ٨، وفي سورة لقمان - الآية ١٣ - ١٤، وفي سورة

الأحقاف - الآية ١٥ - ١٦.

قال أبو السعود: "والسّر في ذلك المبالغة والدلالة على أن ترك الإساءة

إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما".<sup>15</sup>

وإنما عدل النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناء بالوالدين لأن الله أراد برهما، والبرّ إحسان، والأمر به يتضمّن النهي عن الإساءة إليهما بطريق الخطاب، وقد كان كثير من العرب في جاهليتهم أهل جلافة فكان الأولاد يوقرون آباهم إذا اضعفهم الكبير، فذلك كثرت وصاية القرآن بالإحسان بالوالدين.<sup>16</sup>

وقد اختار النصّ القرآني (إحسانا) بلفظ التنكير للدلالة على عظمة عمل البرّ، إذ أن لفظ التنكير يدلّ على التعظيم. ثم جاء في تعبيره بتقديم ذكرهما على المصدر فلم يقل تبارك وتعالى (وإحسانا بالوالدين) بل قال (وبالوالدين إحسانا) فتقديم ذكرهما يدلّ على شدة الاهتمام بهما.<sup>17</sup>

و(إحسانا) مصدر ناب مناب فعل، أي (وأحسنوا بالوالدين إحسانا) وهو

أمر بالإحسان إليهما فيفيد النهي عن ضده وهو الإساءة إلى الوالدين.<sup>18</sup>

فيشمل الإحسان كل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال والبذل

والمواساة.

<sup>15</sup> تفسير ابن السعود المسمّى "تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" لمحمد

بن محمد العادي بن السعود (ج ٢ - ص ١٤٤)، تصحيح محمد عبد اللطيف، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر (د.ت)

<sup>16</sup> التحرير والتنوير: ج ٨ - ص ١٥٨.

<sup>17</sup> مفاتيح الغيب: ج ٢٠ - ص ١٨٨.

<sup>18</sup> التحرير والتنوير: ج ٨ - ص ١٥٨.

وإذا أنعمنا النظر في الآيات التي ذكرت فيها الوصية بالوالدين نجد أن الوصية بما تأتي تالية بذكر توحيد الله إعلانا لقيمة هذه الرعاية عند الله جل جلاله، وعطف الأمر بالإحسان إليهما على ما هو في معنى الأمر بعبادة الله، الله هو الخالق فاستحق العبادة لأنه أوجد الناس. ولما جعل الله الأبوين مظهر إيجاد الناس أمر بالإحسان إليهما، فالخالق مستحق العبادة لغناه عن الإحسان ولأنها أعظم الشكر على أعظم منه، وسبب الوجود دون ذلك فهو يستحق الإحسان لا العبادة، لأنه محتاج إلى الإحسان دون العبادة، إذ أن المؤثر الحقيقي في وجود الإنسان هو الله سبحانه وتعالى وفي الظاهر هو الأبوان. ومن ثمَّ أنّ نعمها على الإنسان عظيمة وهي نعمة التربية والشفقة في الصغار، فلا إنعام بعد الله أعظم من إنعام الوالدين.<sup>19</sup>

وإنما أمر الله الأولاد ببرّ الوالدين دون العكس، لأن الأولاد جبلوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين، فكلّفهم الله بما يخالف طبيعتهم، والآباء محبوبون على الرحمة والشفقة بالأولاد فوكّلهم لا جبلوا عليه.<sup>20</sup>

لهذا تكرر ذكر توصية الولد بالوالدين في القرآن الكريم دون العكس، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى ما طبعت عليه نفوس الآباء من شدة الحرص على منفعة الأبناء والقيام بواجبهم والإحسان إليهم، فهم ليسوا في حاجة إلى تكليفهم ما هم عليه مطبوعون.

<sup>19</sup>ينظر: تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ج ١ - ص ٣٢٣)، دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٦ م. وينظر أيضا: التحرير والتنوير: ج ١٥ - ص ٦٨.

<sup>20</sup>حاشية الصاوي على الجلالين، لأحمد الصاوي المالكي (ج ٣ - ص ٢٣١)، دار الجيل

فالوالدان يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد وإلى التضحية بكل شيء وبكلّ ما يملكان، فالفطرة تدفع الإنسان للحفاظ على الابن بما لا يحتاج معه إلى مزيد من الوصية والتعليم.

ومن جانب آخر، فإن عناية القرآن بحقّ الوالدين ليست بالنظر إلى شخصهما فقط، بل بالنظر أيضا إلى أئمّهما عماد الأسرة. وأن الأسرة لا بدّ لها من التكوّن الصّحيح الذي يستظل فيه أفرادها بنسيج المحبة والتعاون وبلواء العزة والسعادة. فلا خير في أمة تتكوّن أسرها من أبناء لم يروا من آبائهم ما يقوى بينهم الروابط، وما يرفعهم إلى مكانة الشخصيات العزيزة التي تعرف لنفسها معاني العزة والكرامة.<sup>21</sup>

### المبحث الأول : الطاعة والإحسان والبرّ

أمرت الشريعة الإسلامية الحنيفة بالطاعة الكاملة والامثال التام إلى الوالدين وأوامرها الصّادرة بداعي الشفقة والحنان، وأوجبت البرّ والإحسان إليهما وأكدت على ذلك، ودعت إلى الشفقة واللين والرأفة والرّحمة بهما وفرضت الذل وخفض الجناح والقول الكريم في معاشرتهما.

قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ

<sup>21</sup> الوصايا العشر للإمام الأكبر محمود شلتوت : س ٣٢.

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ وَلَا تَتَّهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا  
 كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ  
 رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾<sup>22</sup>

بيّن سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة وجوب الطاعة للوالدين والإحسان إليهما والبرّ بهما. وقد فرض الله وجوب الطاعة لهما بعد وجوب التوحيد إليه. وهذا يعني أن الطاعة لهما من أوجب الواجبات بعد التوحيد كما أن عقوقهما من أكبر الكبائر بعد الشرك، ومن الواضح أن هذا التأكيد على الطاعة والبرّ والإحسان إلى الوالدين سببه فضل الوالدين ومقامهما الرفيع في الشريعة الإسلامية الحنفية. ولفظ (الإحسان) في القرآن الكريم لا ينحصر معناه في المعنى المادي كما جرى به العرف وهو معاونة الغني للفقير بشيء من المال، بل معناه واسع وعميق.

الإحسان في اللغة ضدّ الإساءة، وهو يقال على وجهين:  
 أحدهما: الإنعام للغير، يقال "أحسن إلى فلان".  
 والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علما حسنا أو عمل عملا حسنا،  
 وعلى هذا قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "النّاس أبناء ما يحسنون" أي  
 منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملون من الأفعال الحسنة.<sup>23</sup>

<sup>22</sup>سورة الإسراء - الآية ٢٣-٢٤.

<sup>23</sup>مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص ٢٣٦.

من هنا نجد أن الإحسان أعمّ من الإنعام، والفرق بينهما أن الإحسان يكون

لنفس الإنسان ولغيره وأما الإنعام فلا يكون إلا لغيره، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>24</sup>

فالإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ أقلّ

مما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقلّ مما له. فالإحسان زائد على

العدل، فتحري العدل واجب وتحري الإحسان نذب وتطوع، وعلى هذا جاء قول

الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ﴾<sup>25</sup> ولذلك عظم الله تعالى ثواب المحسنين، فقال تبارك وتعالى ﴿وَإِنَّ

اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>26</sup> وقوله أيضا ﴿إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>27</sup>

قال الإمام الرّازي: "إن العدل في الطاعات هو أداء الواجبات، أما الزيادة

على الواجبات فهي أيضا طاعات وذلك من باب الإحسان، وبالجملة فالمبالغة في

<sup>24</sup>سورة النحل - الآية ٩٠ .

<sup>25</sup>سورة النساء - الآية ١٢٥ .

<sup>26</sup>سورة العنكبوت - الآية ٦٩ .

<sup>27</sup>سورة البقرة - الآية ١٩٥ . مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢٣٦-٢٣٧ .

أداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الإحسان، والدليل عليه أن جبريل لما سأل النبي عليه الصّلاة والسلام عن الإحسان قال "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".<sup>28</sup>

ويرى الإمام القرطبي، "أن الإحسان في تعبير القرآن يشمل تحسين الإنسان ما يعمل وتكميل، فالتكميل الزائد على الأجزاء داخل في الإحسان".<sup>29</sup>

بهذا، فإنّ المفهوم الأساسي للإحسان هو أن يجعل الإنسان للفضل في معاملاته نصيباً فلا يقتصر على أداء الواجب والمفروض، بل يضيف إلى ذلك شيئاً من الفضل -وهو الإحسان.

والإحسان في الوصية المذكورة تعني بها حسن المعاملة مع الوالدين وذلك بطاعتها في كلّ ما يأمران به أو ينهيان عنه ممّا ليس فيه معصية الله تعالى أو مخالفة لشريعته. وإذا كان الوالدان هما أحق الناس بأن يتحلّى الإنسان معهما بإحسان المعاملة، فليس معنى هذا أن ينس الإنسان فضيلة الإحسان من غيرهما، فهناك الإحسان إلى الجيران والأقارب وغيرهم، فالأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكلّ تعامل، فيشمل محيط الحياة كلّها في علاقات العبد برّبّه وبأسرته وبجماعته وعلاقاته بالبشريّة جميعاً.

<sup>28</sup>مفاتيح الغيب: ج ٢٠-ص ١٠٥-١٠٦. والحديث رواه البخاري ومسلم، فتح الباري: كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان (ج ١-ص ١١٤)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان-باب بيان الإيمان والإسلام (ج ١-ص ٣٦).

<sup>29</sup>ينظر: الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ج ١٠-ص ١٠٩) دارالكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

والإحسان إلى الوالدين بصحبتهما من صميم القلب مع مراعاة دقائق الآداب والخدمة والشفقة مع بذل وسعه في رضاها قولاً وفعلاً وأن لا يؤذيهام البتة ويوصل إليهما من المنافع قدر ما يحتاجان إليه فيدخل فيه دعوتهما إلى الإيمان إن كانا كافرين وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق إن كانا فاسقين.

وأما لسائر الناس، جعل الإحسان بهم بالقول .. لأنه القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به. وذلك أن أصل القول أن يكون عن اعتقاد، فهم إذا قالوا للناس حسناً فقد أضرّموا لهم خيراً وذلك أصل حسن المعاملة مع الخلق، قال عليه الصلاة والسلام "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".<sup>30</sup>

على أن الله تبارك وتعالى وصّى الأبناء - وهم الجيل المقبل - بالإحسان للوالدين، وذلك ينحل إلى مقصدين وهما:

1. القصد الإنسان، وهو تربية نفوس الأمة على الشكر لخالقه بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصّوري ونعمة التربية لقوله عليه الصلاة والسلام "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".<sup>31</sup>

2. القصد العمراني، وهو أن تكون أواصر العائلة قويّة العري مشدودة الوثوق، فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة وهو حسن المعاشرة.<sup>32</sup>

<sup>30</sup>الحديث رواه البخاري ومسلم.

فتح الباري: كتاب الإيمان - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (ج ١ - ص ٥٧) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب الدليل على أنّ من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه (ج ١ - ص ٦٨).

<sup>31</sup>الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده: ج ٣ - ص ٣٦٤.

<sup>32</sup>ينظر: التحرير والتنوير، ج ١٥ - ص ٧٣.

المبحث الثاني : التأكيد بالإحسان حال كبير هما

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٣٤﴾

إنّ الأبوين -بطبيعة الحال- يكثر إحتياجهما إلى الرعاية والرأفة والحنان في حال الكبر والشيخوخة لقلة تحملهما وعجزهما، لأنهما يبلغان إلى حالة الضعف، فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلا عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليها منه، فلذلك خصّ حالة الكبر بالذكر.

كما أنه خصّ هذه الحالة، لأنهما مظنة إنتفاء الإحسان بما يلقي الولد من أبيه وأمه من مشقة القيام بشؤونهما ومن سوء الخلق منهما، وكان برهما عند كبرهما سببا لدخول الجنة، وأنّ من قصر في ذلك فإنه - كما وصفه الرسول - أذلّ وأحققر. روى مسلم في صحيحه<sup>34</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رغم أنفه<sup>35</sup> ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه... قيل من يا رسول

<sup>33</sup>سورة الإسراء- الآية ٢٣-٢٤.

<sup>34</sup>في كتاب البرّ والصلة والآداب- باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر

(ج٤-ص١٩٧٨).

الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة." يعني بسبب عدم الإحسان إليهما عند كبرهما.

### المبحث الثالث : بم يكون الإحسان؟

في ضوء الآية السابقة بين القرآن الكريم الإحسان بخمسة أمور:

**الأول :** أول مرتبة من مراتب هذا الإحسان هو عدم تليبيتها بكلمة تدلّ على الضجر والتبرّم بمن يخاطب بها وما يشي بالإهانة وسوء الأدب ولا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء، حيث أشار القرآن ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾<sup>36</sup> والمقصود من

---

<sup>35</sup> قال النووي رحمه الله: رغم أنه كناية عن الذل، كان أنفه لصق بالرغام، أي بالتراب حقيراً هواناً (رياض الصالحين: باب برّ الوالدين-ص ٥٠)

<sup>36</sup> سورة الإسراء- الآية ٢٣.

أصل الأف: كل مستفذر من وسخ وقلامه ظفر وما يجري مجراها، وقال ذلك لكلّ مستخفّ به استقداراً له، نحو قوله تعالى في سورة الأنبياء أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ<sup>٣٦</sup> الآية ٦٧، وقد أفقت لكذا: إذا قلت ذلك استقداراً له، ومنه قيل للضجر من استقدار شيء: أفّف فلان. (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٩). قال الزمخشري: أفّ: صوت إذا صوّت به علم أنّ صاحبه متضجّر (الكشاف: ج ٣-ص ١٢٢)، قال أبو حيان الأندلسي: أفّ: إسم فعل بمعنى أنضجر، ولم يأت اسم فعل بمعنى المضارع إلا قليلاً نحو أفّ وأوّه بمعنى أتوجّع (تفسير النهر المر من البحر المحيط: ج ١٢، ص ٢٩٢-٢٩٣). قال ابن عاشور: أفّ: اسم فعل دال على الضجر وهو منقول من صورة تنفّس المتضجّر لضيق نفسه من الغضب (التحرير والتنوير: ج ١٧-ص ١-٤).

هذا الكلام هو المبالغة في تعظيم الوالدين. قال الإمام الطبري رحمه الله: "فلا توفّف من شيء تراه من أحدهما أو منهما ممّا يتأذى به الناس ولكن اصبر على ذلك منهما واحتسب الأجر في صبرك عليه منهما كما صبرا عليك في صغرك".<sup>37</sup> من هنا، فليس المقصود من هذا النهي أن يقول لهما "أفّ" خاصّة، وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقلّ الأذى باللسان بأوجز كلمة... "فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال، حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما: أفّ، فضلا عمّا يزيد عليه. ثمّ ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفّلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته".<sup>38</sup> ثمّ أنّ قرينة تعظيم الوالدين صيّره من باب الإستدلال بالأدنى على الأعلى، فدلّ على المنع من جميع أنواع الإيذاء. فوصف الإحسان إليهما - في هذه المرتبة - أن يكون بالقول والمخاطبة الجميلة على وجه التذلّل والخضوع. والآية دلّت بعبارتها على حرمة التأفيف للوالدين لما في هذه الكلمة من إيذاء لهما، فيتبادر إلى الفهم أن الآية تتناول حرمة ضربهما وشتمهما، لما في الضرب والشتم من إيذاء أشدّ ممّا في كلمة "أفّ"، فيكون الضرب والشتم أولى بالتحريم من

<sup>37</sup> جامع البيان في تفسير القرآن، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ج ٥-ص ٤٧)، دار

المعرفة-لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

<sup>38</sup> ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التاويل، لابي

القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ج ٢-ص ٦٣٢)، دار الكتب العلمية- لبنان،

الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

التأفيف، وهذا المعنى واضح لا يحتاج إلى اجتهاد. وإنما صار قوله تعالى "أفّ" للأبوين أردأ شيءٍ لأنّه رفضهما رفض كفر النعمة ووجد التربية وره الوصيّة التي أوصاه في التنزيل.<sup>39</sup>

الثانية : بعد النهي عن قول "أفّ" ارتقى إلى النهي عمّا هو من حيث الوضع أشدّ منه وهو نهرهما، حيث أشار إلى ذلك بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْهَرَهُمَا﴾<sup>40</sup> وإذا كان النهي عن نهرهما يدلّ عليه النهي عن قول أفّ، لأنّه إذا نهي عن الأدنى كان ذلك نهيًا عن الأعلى كما قلنا في السابق، إلّا أن السّرّ في تقديم أحدهما دون الآخر -التأفيف من الإنتهار- أن المراد من الأوّل هو المنع من إظهار الضجر بالقليل أو الكثير، وأمّا المراد الثاني فهو المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الردّ عليه والتكذيب له.<sup>41</sup>

الثالثة : ثم أمر القرآن الكريم في هذه المرتبة من مراتب الإحسان إلى الوالدين بالقول الطيّب والاستجابة لهما إلى ما يأمرانه به مالم يكن معصية، وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشي بالإكرام والإحترام جميلًا مشتملاً على حسن الأدب ورعاية دقائق المروءة والحياء جامعا لمحاسن البرّ، حيث

<sup>39</sup>الجامع لأحكام القرآن: ج ١٠-ص ١٥٩.

<sup>40</sup>سورة الإسراء- الآية ٢٣، قال الأصفهاني: النهي والانتهار هو الزجر بمغالطة، ومنه قوله تعالى (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَاتَنْهَرْ). (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٨٢٦).

<sup>41</sup>ينظر: مفاتيح الغيب: ج ٢٠-ص ١٩١.

أشار القرآن الكريم بقوله ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>42</sup> والقول الكريم هو القول المقرون بإمارات التعظيم والإحترام الذي يقتضيه حسن الأدب ويستدعيه النزول على المرءة. ومن روائع الأمثلة لهذا القول الكريم حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام و أبيه آزر، إذ قال لأبيه "يا أبت" تعصيما له مع ما به من الكفر، جاء في قوله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي آلِ كَتَنِيبَ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾<sup>(١١)</sup> إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿١٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١٧﴾ وَإِذَا

أنعمنا النظر في الآيات كلها، نجد أن سيدنا إبراهيم أورد ذلك الكلام الحسن مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل

<sup>42</sup>سورة الإسراء- الآية ٢٣. الكرم: هو الأفعال الحمودة، وأكرمها وأشرفها ما يقصد به وجه الله، فمن قصد ذلك بمحاسن فعله فهو التقي، فإذا أكرم الناس أنقاهم، وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٠٧).

<sup>43</sup>سورة مريم- الآية ٤١-٤٧.

والخلق الحسن. فإنّ قوله في بداية كلّ كلام "ياأبت" دون أن يسمّيه باسمه دليل على شدّة الحبّ لأبيه - وإن كان كافرا- قضاء لحق الأبوة على ما قال تعالى **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**.

**الرابعة :** ثمّ ارتقت -مراتب الإحسان- إلى الأمر بالتواضع لهما تواضعا يبلغ حدّ الذل<sup>44</sup> لهما، وذلك لإزالة وحشة نفوسهما إن صارا في حاجة إلى معونة الولد، لأنّ الأبوين يبغيان أن يكونا هما النافعين لولدهما. ويريد بهذا التخلق بشكره على إنعامهما السابقة عليه عند الصّغر. وجاءت صيغ التعبير عن هذا التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشد منه إذ يخفض جناحه متذللا، قال تعالى ﴿ **وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** <sup>45</sup>﴾ ففي الآية مجاز .. لأنّ الذل ليس له جناح ولا يوصف بذلك، والمقصود منه هو المبالغة في التذلل والتواضع لهما. فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلّة، سواء في القول أو النظر. ذكر القفال في معنى خفض الجناح وجهان: (1)- أن الطائر إذا أراد ضمّ فرخه إليه للتربية خفض له جناحيه، فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير

<sup>44</sup>الذلّ: ماكان عن قهر: يقال: ذل-يذل-ذلا. والذل: ماكان بعد تصعّب وشماس من غير قهر، يقال: ذل-يذل-ذلا. وقوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي كن كالمقهور لهما. (مفردات ألفاظ القرآن: ص 330).

<sup>45</sup>سورة الإسراء- الآية 24.

والتربية. فكأنّه قال للولد "اكفل والديك بأن تضمّهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك في حال صغرك؟". (2) - أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه، وإذا أراد النزول خفض جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع.<sup>46</sup>

**الخامسة :** ثم اختتم مراتب الإحسان بالدعاء لهما في الحياة وبعد الممات بطلب رحمة الله إيّاهما، قال تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا﴾<sup>47</sup> وهي الرّحمة التي لا يستطيع الولد إيصالها إلى أبويه إلا بالابتهاال إلى الله وحده. ثم خصّ التربية في الآية بالذكر ليتذكر الأولاد شفقة الأبوين وتبعهما في تربيتهما عند الصغر. والمقصود منه تمثيل حالة خاصة فيها الإشارة إلى تربية مكثفة برحمة كاملة، إذ أنّ الأبوة تقتضي رحمة الولد وصغر الولد يقتضي الرحمة به. وهذه الآية تدلّ أنّ الإحسان للوالدين لم يقتصر فقط في القول بل أضاف إليه في العمل وهو الدعاء لهما.<sup>48</sup> وحاصل المعنى، أن الله تبارك وتعالى أمر بالإحسان إلى الوالدين

<sup>46</sup> ينظر: مفاتيح الغيب: ج ٢٠-ص ١٩٢.

وتفسير النهر الماد من البحر المحيط: ج ١٢-ص ٢٩٣.

وكذلك تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٤-ص ٣٤١.

<sup>47</sup> سورة الإسراء- الآية ٢٤.

<sup>48</sup> وفي الحديث قال عليه الصّلاة والسّلام: "إذا مات الإنسان إنقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه". هذا الحديث مؤيد للآية المذكورة إذ جعل دعاء الولد عمل لأبويه. الحديث أخرجه مسلم وأبودادود والنسائي.

في المشاهدة والغيبة وبجميع وسائل الإحسان الذي غايته حصول النفع لهما. إلا أن هذه الآية خاصة في الدعاء للأبوين المسلمين فقط لوجود أدلة أخرى دلت على التخصيص وهي قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾<sup>49</sup> وظاهر العلة المانعة من هذا الاستغفار هو تبين كونهم أصحاب

صحيح مسلم: كتاب الوصية - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ج 3-

ص 1200).

سنن أبي داود: كتاب الوصايا-باب ما جاء في الصدقة عن الميت (ج 3-ص 117).

سنن النسائي: كتاب الوصايا- باب فضل الصدقة عن الميت (رقم 24).

<sup>49</sup>سورة التوبة - الآية 113. ما قيل في سبب نزول الآية:

1. قيل أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك. روي عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال، لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية، فقال: "أي عم قل معي لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله؟" فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب، فقال النبي: لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنه"...، فنزلت الآية.

2. قيل نزلت في سبب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أراد أن يستغفر لها فمنع من ذلك. روي عن عطية قال: لما قدم رسول الله مكة وقف على قبر امته حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها ... حتى نزلت الآية.

3. قيل أنها نزلت من أجل أن قوم من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين فنهوا عن ذلك. روى عن قتادة قوله ما كان للنبي والذين امنوا أن يستغفروا للمشركين

النار، وهذه العلة لا تختلف بأن يكونوا من الأقارب أو من الأبعد،  
 فلهذا السبب قال تعالى (وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ) من بعد ماماتوا  
 على شركهم بالله تعالى وعبادة الأوثان، لأن الله قد قضى أن لا يغفر  
 لمشرك فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم. غير أنّ المفسرين اختلفوا فيها. قال  
 بعضهم أنها منسوخة،<sup>50</sup> وقال بعضهم أنها مخصوصة. لأن التخصيص  
 أولى من النسخ وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عامًا في  
 كلّ الآباء بغير معنى النسخ بأن يكون تأويلها على الخصوص فيكون  
 معنى الكلام -وقل ربّ ارحمهما إذا كانا مؤمنين كما ربياني صغيرا-

---

(الآية) ذكرنا أنّ رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يانبيّ الله أن من آباؤنا من كان  
 يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم، فقال النبي: بلى والله  
 لأستغفرنّ لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه، قال فأنزل الله ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا  
 للمشركين حتى بلغ الجحيم ثم عذر الله إبراهيم فقال وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة  
 وعدّها إيّاه فلما تبين له أنّه عدوّ لله تبرأ منه. ينظر: (جامع البيان في تفسير القرآن: ج ١١ ص ٣٣-  
 ٤١ في القول الثاني والثالث)، و(أسباب النزول للواحدي، ص ١٧٧ في القول الأول، دار الكتب  
 العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

<sup>50</sup> روى عن قتادة رضي الله عنه قال: "نسخ من هذه الآية حرف واحد لا ينبغي لأحد من  
 المسلمين أن يستغفر لوالديه إذا كانوا مشركين، ولم يقل (رب ارحمهما كما ربياني صغير) ولكن  
 ليخفف لهما جناح الذل من الرحمة وليقل لهما قولاً معروفاً. قال الله تعالى (ماكان للنبي والذين  
 آمنوا أن يستغفروا للمشركين). وروي ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (إمّا يبلغن عندك الكبر)  
 إلى قوله (كما ربياني صغيرا) فندسختها الآية في براءة (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا  
 للمشركين) (الدّر المنثور للسيوطي: ج ٥- ص ٢٦٠-١٦١).

فتكون مرادها بخصوص غير منسوخ منها شيء.<sup>51</sup> قال الإمام القرطبي: "إن عموم هذه الآية خصّصت بدعاء الرّحمة الدنيوية للأبوين المشركين ماداماً حيّين، لا رحمة الآخرة. فإذا كان والدا المسلم ذميين استعمل معهما ما أمره الله به هاهنا إلاّ الترحّم لهما بعد موتهما على الكفر، لأن هذا وحده نسخ بالآية المذكورة".<sup>52</sup> من هنا نجد أنّ حكم الدّعاء مختصّ بالأبوين المسلمين بعد الوفاة، وأمّا للأبوين الكافرين وهما حيّان فله أن يدعو لهما بالهداية ... إذ أن الاستغفار لهما بعد الوفاة لا يجوز إلاّ بشرط الإيمان.

---

<sup>51</sup> ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ج ١٥ - ص ٥٠.

<sup>52</sup> ينظر: مختار تفسير القرطبي: ص ٥١٦.

## الفصل الثاني

### الوصية برعاية حقوق الأَوْلاد

ومثلما أوجب الله - جل شأنه - رعاية حقوق الوالدين تجده يوجب رعاية حقوق الأَوْلاد، فهم هبة الله للإنسان وزهرة الحياة الدنيا لما فيهم من غاية الضعف، فلا كافل لهم غير الوالدين.

وهذا ما أكدته الآية الكريمة، قال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾<sup>53</sup> وإنما

---

<sup>53</sup>سورة الكهف - الآية ٤٦، وفي آية أخرى جاء قوله تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَاللَّاتَعْمِرِ وَالْحَرَثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ

كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا، لأنّ في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوّة ودفعاً.<sup>54</sup>

### المبحث الأول: حكمة الله في إيجاد النسل<sup>55</sup>

النسل نعمة عظيمة من الله تعالى على الوالدين يأنون به ويمجدونه لكفاية مهتمّاتهم، ونعمة على العالم كلّه بكثرة من يعمره.

فالأولاد ثمرة الزواج وهدف مهمّ من أهدافه، وهم يمثلون حياة جديدة للإنسان بعد إنقضاء حياته، كما أنّ الأولاد هم الوسيلة لتثبيت الطمأنينة في الحياة الزوجيّة.<sup>56</sup>

إنّ قرابة الأولاد قرابة الجزئية والبعضية، وهي من أعظم الموجبات للمحبة. ومن رغب عن محبة الولد فكأنّه رغب عن جزئه، وإذا كان برّ الآباء مكافأة على ما صدروا منهما من أنواع البرّ بالأولاد فبرّ الأبناء ابتداء اصطناع لمافيه من بقاء النوع الإنساني.

إذ جعل الله تعالى في الوالدين من الرّجال والنساء شعورا وجدائيّا يشعر بأن الولد قطعة منهما ليكون ذلك مدعاة إلى المحافظة على الولد الذي هو الجيل المستقبل وبقائه بقاء النوع، فهذا بقاء النوع بحفظه من الاضمحلال المكتوب عليه، وفي الولد

<sup>54</sup>الجامع لأحكام القرآن: ج ١٠-ص ٢٦٩.

<sup>55</sup>النسل هو الانفصال عن الشيء، والنسل: الولد، لكونه ناسلا عن أبيه (مفردات

الفاظ القرآن: ص ٨٠٣)

<sup>56</sup>ينظر: الحياة الاجتماعيّة في التفكير الإسلامي: مباحث إجتماعية في نطاق الأسرة وفي

نطاق المجتمع، د. شلي: ص ٩٧-٩٨.

أيضا حفظ للنوع من الاضمحلال العارض بالاعتداء على الضعيف من النوع، لأنّ الإنسان يعرض له الضعيف بعد القوّة، فيكون ولده دافعا عنه عداء من يعتدى عليه، فكما دفع الوالد عن ابنه في حال ضعفه يدفع الولد عن الوالد في حال ضعفه.<sup>57</sup>

من أجل هذا اقتضت إرادة الله عزت قدرته وجلت حكمته أن يجعل له في نسله بعض العوض عن ذلك فإنه يرى بقاءه مستمرا في نسله وذكره لم تنقطع بذريته. فلايندم على جهاده في معترك الحياة ولايأسف على فلايندم على جهاده في معترك الحياة ولايأسف على مفارقة ما جمعه من مال وعقار لعلمه أنّه تركه لخلفه الذي هو جزء منه.

ومن جانب آخر، فإن كلّ إنسان يشعر بالحاجة إلى معين مخلص ومساعد أمين يحمل عنه بعضا من متاعب الحياة، ولأخذ أجدر من الولد بثقة الوالدين - في هذا المعنى - لهذا كان حبّ الذرية غريزة قويّة في الإنسان.

لهذه الفوائد كلّها اقتضت حكمة الله في إيجاد نظام التناسل حفظا للتنوع وإظهارا لما في الإنسان من مواهب تنفعه وتنفع قومه

### المبحث الثاني: وصية الله برعاية الأولاد

ومحبة الذرية تارة تكون ممدوحة وتارة تكون مذمومة، بحسب ماها وآثارها.

من ذلك قوله تعالى ﴿رُزِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

<sup>57</sup>التحرير والتنوير: ج 3-ص 181.

وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرِثِ <sup>ط</sup> ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ

المَعَابِ ﴿٥٨﴾

فالممدوحة ما تؤول إلى الخير وتفضى إلى نفع المجتمع وبناء العمران، وأما المدمومة فهو ما تؤول إلى الشرّ وتفضي إلى ضرر المجتمع وفساد العمران بارتكاب المظالم وتعدي الحدود وانتهاك الحرمات...

من هنا، كان تربية الأولاد على الآداب الحسنة والأخلاق الطيبة من أهمّ الفرائض، بل يجب على كلّ مسلم أن لايتهاونوا في ذلك لشدة خطرها وعظم مسؤوليتها.

لهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة. فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "كلّكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرّجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيّده ومسؤول عن رعيته، وكلّكم راع ومسؤول عن رعيته".<sup>59</sup>

<sup>58</sup>سورة آل عمران - الآية ١٤ .

<sup>59</sup>الحديث رواه البخاري ومسلم.

فتح الباري: كتاب الجمعة- باب الجمعة في القرى والمدن (ج٢-ص٣٨٠)

صحيح مسلم: كتاب الإمارة- باب فضيلة الإمام العادل (ج٣-ص١٤٥٩)

وفي القرآن الكريم مشهد آخر عن هذه المسؤولية، من ذلك وصية إبراهيم

عليه السلام لبنيه كما يصوره القرآن الكريم ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ

يٰٓبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>60</sup>

أنه عليه الصلاة والسلام خصص بنيه بذلك، "لأنَّ شفقة الرجل على أبنائه أكثر من شفقته على غيرهم، فلمَّا خصَّهم بذلك في آخر عمره علمنا أنَّ اهتمام بذلك كان أشد من اهتمامه بغيره".<sup>61</sup>

تلك هي ملَّة إبراهيم الإسلام الخالص الصَّريح. ولم يكتف إبراهيم بنفسه إنما تركها في عقبه، وجعلها وصية في ذريته لشدة مسؤوليته عنهم.

كما وصى بها إبراهيم عليه السَّلام بنيه، جاء مشهد آخر.. وهو وصية يعقوب عليه السَّلام لبنيه حين حضره الموت، فكانت آخر وصية الأب لأبنائه، يقصَّ القرآن الكريم ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا

<sup>60</sup>سورة البقرة- الآية ١٣٢، وبنو إبراهيم ثمانية، وهم: إسماعيل وهو أكبر بنيه وأمه هاجر القبطية، وإسحاق وأمه سارة وهو ثاني بنيه، ولما توفيت سارة تزوج إبراهيم عليه السلام قنطورا بنت يقطن الكنعانية وولدت له: مدين، مداين، ونهشان، وزمران، ونشيق، وشيوخ (الجامع لأحكام القرآن: ج ٢-ص ٩٢).

<sup>61</sup>مفاتيح الغيب: (ج ٤-ص ٨٠).

تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ<sup>62</sup>

هذا المشهد بيّن يقوب عليه السّلام وبنيه جاءت في لحظة الموت، وهو وقت التعجيل بالحرص على ابلاغ النصيحة.

وكانت وصيته - كما ذكرت القصة - نظير ما وصى به إبراهيم بنيه وهي أمر العقيدة.

وجاء يعقوب في وصيته بأسلوب الاستفهام لينظر مقدار ثباتهم على الدّين حتى يطلع على خالص طويتهم ليلقي إليهم ما سيوصيهم به من التذكير.<sup>63</sup>

قال الرّازي: "هذه الآية دالة على أن شفقة الأنبياء - عليهم الصلوات والسّلام - على أولادهم كانت في باب الدين وهمتهم مصروفة إليهم دون غيره".<sup>64</sup>

فما يريد الوالد لولده إلا الخير وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً، ومن أروع المشاهد يقدمها القرآن الكريم تحدث عن مسؤولية الآباء والمربّين تجاه الأبناء في التربية الحسنة نجد ضمن وصية لقمان لابنه.

<sup>62</sup>سورة البقرة- الآية 133، وبنو يعقوب هم الأسباط أي أسباط إسحاق ومنهم تشعبت قبائل بني إسرائيل وهم اثنا عشر ابناً: روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزبالون، ويشجر (وهؤلاء أهمهم ليان بنت لمان وهي بنت خال يعقوب) ويوسف، وبنيامين (أمهما راحيل) ودان، وفتالي (امهما بلهة) وجاد، واشيم (امهما زلفة)، ينظر الجامع لأحكام القرآن (ج 9-ص 87) والتحرير والتنوير (ج 1-ص 732).

<sup>63</sup>التحرير والتنوير: ج 1-ص 732.

<sup>64</sup>مفاتيح الغيب: ج 4-ص 82-83.

كما يقصّ علينا القرآن الكريم ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ

يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>65</sup>

وهذا لقمان الحكيم ينهي ابنه عن الشرك، ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم.

وفي ظل نصيحة الأب لابنه يعرض للعلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق، ويصور هذه العلاقة صورة موحية فيها العطف والرفقة فقال تعالى على لسان لقمان ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾<sup>١٤</sup> وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ

<sup>65</sup>سورة لقمان - الآية ١٣.

خَيْرٌ ﴿٦٦﴾ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ

عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٦٦﴾

من هنا جاءت وصية الله تعالى برعاية الأولاد والنهي عن قتلهم لما فيه من هدم بنيان الله،

وهي المذكورة في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ ﴿٦٧﴾

وقد جاءت هذه الوصية مرة أخرى في وصايا سورة الإسراء التي سبقت فيها بعنوان

"القضاء والحكم" قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا﴾ ﴿٦٨﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ

وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا﴾ ﴿٦٩﴾

فهذه الوصية جامعة، لأنها تضع الوالدين في المسؤولية تجاه الأولاد، وأن

مسؤوليتهم ستحاسب في الآخرة، قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ

66 سورة لقمان - الآية ١٤-١٧.

67 سورة الأنعام - الآية ١٥١.

68 سورة الإسراء - الآية ٢٣.

69 سورة الإسراء - الآية ٣١.

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا

يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٧٠﴾

فلا بدّ من بذل الجهد، والعمل الدؤوب في إصلاح الأطفال، وتصحيح أخطائهم على الدوام، وتعويدهم الخير. وهذا سبيل الأنبياء والمرسلين، فلقد دعا نوح عليه السلام ابنه إلى الإيمان، ووصى إبراهيم بنه بعبادة الله وحده.

فإنه كما أنّ للأب على ابنه حقًا، فلا بدّ من تعليمه، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل ترك الآباء لهم وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينتفعوا آباءهم كبارًا.<sup>71</sup>

ومسؤولية الأب عن أولاده تعتبر أول حلقة في سلسلة المسؤوليات التي أقام الله المجتمع الإنساني عليها، ولذلك فإنها أهم وأخطر حلقة فيها على الإطلاق.<sup>72</sup>

### المبحث الثالث: النهي عن قتل الأولاد

سبق عن قلنا، أنّ الأولاد نعمة عظيمة من الله تعالى على الوالدين. فالسعي في إبطال هذه النعمة بقتلهم لضرر مزنون جريمة عظيمة، وهي من أعظم الآثام بعد الشرك. روي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله

<sup>70</sup>سورة التحريم - الآية ٦.

<sup>71</sup>تحفة الودود بأحكام المولود: ص ٢٠٠.

<sup>72</sup>إبحاث في القمة، د. سعيد رمضان البوطي: ص ٥٥.

صلى الله عليه وسلم: أيّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: "أن تجعل الله ندا وهو خلقك". قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أيّ؟ قال: "أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك". قلت ثم أيّ؟ قال: "أن تزاني حليلة جارك".<sup>73</sup>

هذه الجريمة من قتل الأولاد هي نتيجة بارزة من آثار الانحراف عن العقيدة في واقع الجماعة الإنسانية حيث تعود سببها غالبا خوف الفقر والفاقة ولزوم النفقة آجلا أم عاجلا.

والعقيدة الإسلامية عصمة من هذا كله، إذ الرزق بيد الله وحده فهو يرزق الجميع.

وهذا هو المراد من قوله تعالى في هذه الوصية ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

مَنْ إِمْلَقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>74</sup> وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾<sup>75</sup>

قال الإمام الرّازي: "وهذا لفظ عام للذكور والإناث، والمعنى أن الموجب للرّحمة والشفقة هو كونه ولدا، وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور وبين الإناث، وأما ما

<sup>73</sup> الحديث رواه البخاري ومسلم

فتح الباري: كتاب التفسير - باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون)

ج ٨ - ص ١٦٣.

صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب كون الشرك أقبح الذنوب (ج ١ - ص ٩٠).

<sup>74</sup> سورة الأنعام - الآية ١٠١.

<sup>75</sup> سورة الإسراء - الآية ٣١.

يخاف من الفقر في البنات فقد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر وقد يخاف أيضا في العاجزين من البنين".<sup>76</sup>

وقد بين الله تبارك وتعالى من خلال هاتين الآيتين الكريمتين فساد هذه العلة للنهي عن قتلهم، وأنّ الخوف من الفقر لا وجه له لأن الله جل شأنه هو الرزاق للكلّ، فهو ذو القوة المتين على الرزق. قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>77</sup>

فيبقى الأب مسؤولا عن الأولاد بالسعي في طلب الرزق لإنفاق الذرية وإطعام أهله.

وتأكيدا لإزالة ذلك الوهم من مخافة الفقر جاءت الآية بأسلوبين مختلفين وكليهما ينافي علة قتل الأولاد إبطالا لمعذرتهم، وهما:

١. في الأنعام، يقول تبارك وتعالى (من إملاق) و "من" التعليلية هنا تقتضي أن الإملاق سبب القتل، فيقتضى أنّ الإملاق موجود حين القتل، فمن أجل هذا الاعتبار قدم ضمير الآباء على ضمير الأولاد، لأنّ الإملاق الدافع للقتل في هذه الآية هو إملاق الآباء.

٢. وأما في الإسراء فيقول تبارك وتعالى (خشية إملاق) لأنّ الحامل على ذلك ليس فقر الأب ولكن خشية عروض الفقر للأولاد، فهو الإملاق المخشّي وقوعه.<sup>78</sup>

<sup>76</sup> تفسير الفخر الرازي: ج ٢٠-ص ١٩٨.

<sup>77</sup> سورة الذريات - الآية ٥٨.

<sup>78</sup> ينظر: في ظلال القرآن، ج ٤-ص ٢٢٢٣.

ومن جهة أخرى، فأن في قتلهم خسران لهم .. يخسرون به من النعم التي يحصل عليها الإنسان في حياته من جهة النسل والولد.

وقد وصف الله جل شأنه حال خسراهم بسبعة أمور، وهي مجموعة في قوله

تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا

رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>79</sup> وهذه

الأمور السبعة هي:

1. الخسران وذلك لأن الولد نعمة عظيمة من الله على العبد، فإذا سعى في إبطاله فقد خسر خسرانا عظيما ويستحق الدم العظيم في الدنيا والعقاب العظيم في الآخرة.
2. السفاهة وهي عبارة عن الخفة المذمومة، لأنّ قتل الولد إنّما يكون للخوف من الفقر، والفقر وإن كان ضررا إلا أنّ القتل أعظم منه ضررا، فهذا القتل ناجز وذلك الفقر موهوم، فالتزام أعظم المضار على سبيل القطع حذرا من ضرر قليل موهوم، لاشك أنه سفاهة.
3. قوله (بغير علم) فالمقصود أنّ هذه السفاهة إنّما تولدت من عدم العلم، ولا شك أن الجهل أعظم المنكرات والقبائح.
4. الحماقة لأنه يجرم ما أجل الله لهم حيث يمنع نفسه تلك المنافع والطيبات، ويستوجب بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العذاب والعقاب.
5. الافتراء على الله، والافتراء عليه أعظم الذنوب وأكبر الكبائر.
6. الضلال عن الرشد في مصالح الدين ومنافع الدنيا.
7. أنهم ما كانوا مهتدين.

فثبت أنه تعالى ذم الموصوفين بقتل الأولاد وتحريم ما أحله الله تبارك وتعالى لهم بهذه الصفات السبع الموجبة لأعظم أنواع الدم .. وذلك نهاية المبالغة.<sup>80</sup>

فالنهى يشمل قتل الأولاد بعد ولادتهم، وقتلهم وهم أجنة في بطون الأمهات كما فعل كثير من الناس في هذه الأيام الذين لا يقصدون من الزواج سوى المتعة الجنسية.

أما قتل المولود فأمره ظاهر واضح فكان من أفضع الإعتداء على إزهاق الارواح من أجسادها، اعتداء الآباء على نفوس الأولاد بالقتل. لأن الله تعالى جعل في الفطرة حرص الآباء على استحياء الأبناء وجعل الأبوين سبب إيجاد الأبناء. وأما الجنين، فبالاسقاط والاجهاض. وكلاهما جناية على موجود منح الحياة، لأن الجنين قد غرست فيه الحياة بمجرد التلقيح، والاسقاط في تلك الحالة جناية تفسد ما هيأه الله للوجود وبث فيه عنصر الحياة، وتعظم الجناية كلما نما الجنين وكلما إنتقلت المادّة من طور إلى طور حتى تصل إلى منتهاها وتنفصل عن الأمّ.

<sup>80</sup> مفاتيح الغيب: ج ١٣-ص ٢٢٠-٢٢١.



## الفصل الثالث

### الوصية بإيفاء الكيل والميزان

هذه الوصية من الوصايا المهمّة في حفظ نظام المعاملة بين الناس، وهي إيفاء الكيل والميزان عند التبائع.

فأمر الكيل والميزان عظيم، لأن البيع والشراء مما لا يبدّ منهما في قضاء الضروريات والحاجات التي تقوم الحياة ولا ينتظم العيش إلا بهما، ومن هنا قضت الحياة الإجتماعية بوجود التجارة وأصبحت من أفضل الكسب لما فيها من روح التعاون بين الناس.

جاء في الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي الكسب أفضل؟" قال "عمل الرّجل بيده وكل بيع مبرور"<sup>81</sup>.

ومن دون شك، أن هذه المعاملة التجارية تعتمد على الكيل والميزان وهي في نظر الإسلام وثيقة الارتباط بالعقيدة مما يدلّ على شمول منهجه للحياة الواقعيّة

---

<sup>81</sup>الحديث رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورواه ثقات (الترغيب والترهيب: ج 2 -

وشؤونها العملية وإقامتها على الأساس الأخلاقي العميق الأصيل في طبيعة هذا المنهج الإلهي القويم.

جاءت هذه الوصية في سورة الأنعام ضمن وصايا كثيرة، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾،<sup>82</sup> كما جاءت

في سورة الإسراء ضمن قضاءه الله وأحكامه لعباده بقوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.<sup>83</sup>

وهذا التشريع هو أصل من أصول رواج المعاملة بين الأمة، لأن المعاملات

تعتمد الثقة المتبادلة بين أفراد الأمة، وإنما تحصل بشيوع الأمانة فيها، فإذا حصل ذلك نشط الناس للتعامل<sup>84</sup>.

والفارق بين من يلزم إيفاء الكيل والميزان تجارة ومن يلتزمه اعتقاداً... أن هذا

يحقق أهداف ذلك ويزيد عليه نظافة القلب والتطلع في نشاطه العمليّ إلى أفاق أعلى من الأرض، وأوسع في تصوّر الحياة وتدوّقها<sup>85</sup>.

### المبحث الأول: معنى الإيفاء

<sup>82</sup>آية ١٥١.

<sup>83</sup>آية ٣٥، وجاء أيضاً في سورة الأعراف: ٨٥، وفي سورة هود: ٨٥، وفي سورة

الشعراء: ١٨١، ثم في سورة الحديد: ٢٥.

<sup>84</sup>ينظر: التحرير والتنوير، ج ٨ - ص ٢٤٢.

<sup>85</sup>في ضلال القرآن: ج ٤ - ص ٢٢٢٧.

تبدأ الوصية أولاً بلفظة "الإيفاء" التي تدلّ على الإكمال والإتمام،<sup>86</sup> وأوفي الكيل إذا أتمّه ولم ينقص منه شيئاً.<sup>87</sup> فالإيفاء إذن عبارة عن الإتيان به على سبيل الكمال والتمام.

وهذا يشير إلى أن الباعة مأمورون بالحدّ الذي يتحقق فيه العدل وافية فعدم النقص يساوي الوفاء.

هذه الوصية راجعة إلى حفظ مال المشتري من الإضاعة، لأن الكائل أو الوازن هو البائع الذي يحمله حبّ الاستفضال على تطفيف الكيل أو الوزن ليكون باع الشيء الناقص بثمن الشيء الوافي كما يحسبه المشتري.

وفي قوله (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ) دلالة على أن الكيل هو على البائع لأنه لا يقال

ذلك للمشتري.<sup>88</sup>

وكما عرفنا في المعاملة التجارية أن حالة الكيل والوزن هو حالة غفلة المشتري، إذ البائع هو الذي بيده المكيال والميزان. ولأن المشتري لرغبته في تحصيل المكيل أو الموزون قد يحتمل التطفيف، فأوصى البائع بإيفاء الكيل والميزان.

<sup>86</sup>لوافي: الذي بلغ التمام، يقال: درهم واف وكيل واف وأفيت الكيل والوزن (مفردات

ألفاظ القرآن: ص ٨٧٨).

<sup>87</sup>مفاتيح الغيب: ج ١٣ - ص ٢٤٧.

<sup>88</sup>تفسير النهر الماد من البحر المحيط: ج ١ - ص ٢٩٦.

ويؤكد على ذلك أنه سبحانه وتعالى قيّد في وصيّته بقوله ﴿وَأَوْفُوا

الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ﴾ فالتقييد (إِذَا كَلَّمْتُمْ) يدل على وقت الكيل على سبيل التأكيد،

وهذا يقتضي أن لا يتأخر الإيفاء عن وقت الكيل.<sup>89</sup>

على هذا الأساس جعل التحذير من هذه العلة -على نقص الكيل والميزان- بجانب التحذير من أكل مال اليتيم، فهذا استغلال لضعف اليتيم وذاك استغلال لغفلة المتباعين، فكلاهما سلب بطريق خبيث، وكلاهما أكل أموال الناس بالباطل وذلك منهى عنه منذ الأمم المتقدمة والسالفة على ألسنة الرسول صلوات الله وسلامه.<sup>90</sup>

وكلنا الوصيتين تحاربان في الإنسان خلقي الجشع والطمع في الحصول على ما ليس له وعلى ما لا حق له فيه، وهما خلقان خبيثان يقوضان من المجتمع عمد الأمانة واركاب الأمان والطمأنينة.

<sup>89</sup> تفسير النهر الماد من البحر المحيط: ج ١ - ص ٢٩٦.

<sup>90</sup> وذلك كما قصّ الله علينا رسالة نبيه شعيب عليه السلام إذا قال لقومه أهل مدين، جاء فيه (وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءت بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين) سورة الأعراف: ٨٥، وجاء أيضاً في سورة هود الآية: ٨٥-٨٤، ثم في سورة الشعراء الآية: ١٨٣-١٧٧.

## المبحث الثاني : إيفاء الكيل يحقق عدالة الإسلام

سبق أن قلنا أن وصية الله فيما تخص بإيفاء الكيل والميزان نجدها في آيات متعدّدة من القرآن الكريم. وإذا لا حظنا سياق هذه الآيات، نجد تأتي غالبا مقيدة بلفظ القسط، مثل قوله تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾<sup>91</sup>

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾<sup>92</sup>

﴿ وَيَقُومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾<sup>93</sup>

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾<sup>94</sup>

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾<sup>95</sup>

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾<sup>96</sup>

<sup>91</sup> سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

<sup>92</sup> سورة الإسراء، الآية: ٣٥.

<sup>93</sup> سورة هود، الآية: ٨٥.

<sup>94</sup> سورة الإسراء، الآية: ٣٥. القسطاس: الميزان ويعبر به عن العدالة كما يعبر عنها

بالميزان (مفردات الفاظ القرآن الكريم للأصفهاني: ص ٦٧٠)

<sup>95</sup> سورة الحديد، الآية: ٢٥.

<sup>96</sup> سورة الرحمن، الآية: ٩.

يأتي لفظ القسط في القرآن الكريم على معنيين متضادين، وهما: القسط - بكسر القاف - هو النصيب بالعدل كالنصف والنصفه، والقسط - بفتح القاف - هو الجور.<sup>97</sup>

فالثاني هو أن يأخذ قسط غيره، وذلك جور قال تعالى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾<sup>98</sup> والأول أن يعطى قسط غيره وذلك إنصاف، قال تعالى ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾<sup>99</sup> من هنا يظهر فرق دقيق بين القسط والعدل.

فالأقساط غالباً عند القسمة، والقسط هو النصيب الذي يعطى بالحق.<sup>100</sup> وأما العدالة فهي لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة والعدل هو التقسيط على سواء.<sup>101</sup>

ويذكر ابن عاشور: "أن القسط في جميع أمور الناس على ما يقتضيه الحق، فهو عدل عام بحيث يقدر صاحب الحق منازعا لمن قد إحتوى على حقة".<sup>102</sup>

<sup>97</sup> مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٧٠ وجاء في لسان العرب: قسط - يقسط - فهو قاسط إذا جار، والقسط: الحصة والنصيب، وتقسطوا الشيء بينهم أي تقسموه على العدل والسواء (لسان العرب: مادة قسط): ج ٧٠ ص ٣٧٧.

<sup>98</sup> سورة الجن، الآية: ١٥.

<sup>99</sup> سورة يونس، الآية: ٤.

<sup>100</sup> ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٦٧٠.

<sup>101</sup> المصدر السابق، ص ٥٥١.

<sup>102</sup> التحرير والتنوير: ج ٩ - ص ٤١٦.

وإذا كان الأمر كذلك، يمكننا القول بأن إيفاء الكيل والميزان هو عين القسط، إلا من شدة عناية الإسلام بهذا الأمر وتشديدا للتوصية وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه قيده بلفظ القسط.

فالتكرير إلى أمر "بالإيفاء بعد عن نهي عن التطفيف تأكيداً".<sup>103</sup>

فأمر الله المعطي بإيفاء ذي حق حقه من غير نقصان وأمر صاحب الحق بأخذ الحق من غير طلب الزيادة.

ويذكر الزمخشري: "وجيء به مقيدا بالقسط ليكون الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان، أمرا بما هو الواجب. لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه وفيه توقيف على أن الموقى عليه أن ينوي بالوفاء بالقسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل، فهذه ثلاث فوائد<sup>104</sup>.

والباء في قوله (بالقسط) للملابسة أي أوفوا ملتبسين بالعدل بأن لا تظلموا المكتال حقه<sup>105</sup>.

فكلمة القسط بينت، أن الإيفاء يجب أن يكون من الجانبين وهذا يقتضى طرفين يقسط بينهما، فدل على أن الإنسان يجب عليه أن يرضى لغيره ما يرضه لنفسه.

فاذا كان إيفاء الكيل راجعة إلى حفظ مال المشتري من الإضاعة فمن عدالة الإسلام، أنه تحفظ حقوق البائع من الإضاعة أيضا. قال الله تعالى ﴿فَأَوْفُوا

<sup>103</sup>الجامع لأحكام القرآن: ج ٩ - ٥٧.

<sup>104</sup>الكشاف: ج ٢ - ص ٧٦.

<sup>105</sup>التحرير والتنوير: ج ٨ - ص ١٦٥.

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَ هُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾<sup>106</sup> فالنهي عن بخص الناس أشياءهم يرجع إلى حفظ حقوق البائع،

لأن المشتري هو الذي يبخص شئ البائع ليهيئة لقبول الغبن في ثمن شئته.<sup>107</sup> وتبين

لنا أن هذين الأمرين -تطفيف الكيل والبخص- حلة وخداع لتحصيل ربح من المال.

وعلى هذا فالنقص قد يقع من على وجهين:

1. أن يكون الإيفاء من قبلهم فينقصون من قدره.
2. أن يكون لهم الاستيفاء فيأخذون زيادة على الواجب وذلك يوجب نقصان حق الغير.

وفي سبيل محاربة ذلك الخداع الذي قد يقع في المعاملة التجارية صرح القران

الكريم على لسان سيدنا شعيب عليه السلام فقال ﴿وَيَنْقُومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ

<sup>106</sup>سورة الأعراف، الآية ٨٥، وكذلك في سورتي: هود، الآية ٨٥، وسورة الشعراء، الآية

١٨١-١٨٣.

<sup>107</sup>البخص: نقص الشئ على سبيل الظلم، البخص والباخص: الشئ الطفيف الناقص،

(مفردات الفاظ القران: ص ٢١١).

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَ هُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٠٨﴾

وإذا أنعمنا النظر في الآية السابقة، نجد أنه تعالى ذكر الأمر من وجوه ثلاثة:

1. قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، يدل على النهي عن التنقيص.

2. قوله تعالى ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾، يدل على أمر بإيفاء العدل.

3. قوله تعالى ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَ هُمْ﴾، يدل على المنع من

النقص في كل الأشياء، وهو يكون في السلعة بالتعيب والتزيد فيها أو المخادعة عن القيمة والاحتتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه.

ومن خلال الآية السابقة يتبين لنا، "أنه تعالى نهى أولاً عن عين القبيح الذي

كانوا عليه من نقص الكيل والميزان، لأن التصريح بالقبيح نعيماً على المنهي وتعبيراً له.

ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحاً بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه".<sup>109</sup>

ثم تأكيداً على ما تقدم أيضاً نجد أن القرآن الكريم جاء بأمر الكيل على

ثلاثة أضرب كما جاء في قوله تعالى ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ

<sup>108</sup>سورة هود، الآية ٨٥، وكذلك جاء في سورة الشعراء، الآية ١٨٣-١٨١.

<sup>109</sup>الكشاف: ج ٢ - ص ٤٠١.

الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ

أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١١٠﴾

هذه الأضرب الثلاثة هي: كيل واف، وكيل طفيف، وكيل زائد. فأمر

بالواجب الذي هو الإيفاء بقوله ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ ثم نهي عن المحرم الذي هو

التطفيف بقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ وأما الزائد فإن القرآن الكريم لم

يذكره... والسّرّ في ذلك فكأن رزقه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعل فقد

أحسن وإن لم يفعله فلا إثم عليه.<sup>111</sup>

فوصى الله عز وجل المسلمين يتحقق مظهر من أبرز مظاهر العدل وأهمها،

وهو العدل في الكيل والوزن بين المتبايعين.

وإنما يركز البيان الإلهي العظيم - في مجال التحذير من الظلم في التعامل - على

هذا المظهر الجزئي بذاته وهو التلاعب بالكيل أو الوزن، دون ما وراء ذلك من فنون

الغش والخداع، لأن منطلق هذه المظالم الخطيرة يكون في أول الأمر مسائل جزيئة

مستحقرة يمارسها الرجل بادئ الأمر وهو غير عابئ بشأنها أو ناظر لأهميتها حت إذا

أحس بنتائجها القريبة الخادعة من هذه الجزئيات... فلا يزال يوغل فيها ويتفنن في

<sup>110</sup>سورة الشعراء، الآية ١٨٣-١٨١.

<sup>111</sup>ينظر: الكشاف: ج ٣ - ص ٣٢٢، ومفاتيح الغيب، ج ٢٤ - ص ١٦٣.

أنواعها حتى ينقلب عمله التجاري الذي كان مشروعاً إلى أخطر وسيلة غير مشروعة لأخذ أموال الناس بالباطل.<sup>112</sup>

### المبحث الثالث : ما هو الإيفاء المطلوب من الوصية ؟

ولما كان التحقيق في مراعاة الحدّ من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجزي فيه الحرج أتبعه الله تبارك وتعالى بما يزيل هذا الحرج فأمر ببلوغ الوسع حيث قال ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ ﴾<sup>113</sup>

فقوله تعالى ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ يدلّ على أنه تعالى لا يكلف أحد إلا بمقدار طاقته بما لا يعجز عنه، وتلك هي خصائص الشريعة الإسلامية.

وهذا يقتضي أن هذه الأوامر إنما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرر وما لا يمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين الكيلين ولا يدخل تحت قدرة، فمعفو عنه.

قال البيضاوي: "أي إلا ما يسعها ولا يعسر عليها، وذكره بعد وفاء الكيل لأن إيفاء الحق فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم"<sup>114</sup>.

<sup>112</sup>أبحاث في القمة، د.محمد سعيد رمضان البوطي: ج ٢ - ص ٣٣.

<sup>113</sup>سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

<sup>114</sup>أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ - ص ١٨٤.

فقد قصد به رفع المسؤولية عما يخرج عنه ضبط الإنسان وقدرته من زيادة أو نقص، فالواجب إذن هو القدر الممكن من العدالة والسوية لا التحقيق المؤدي إلى الحرج والعسر.<sup>115</sup>

والحاصل أنه تعالى يكلفهم ما يظنون أنه عدل ووفاء، والمقصود من هذا هو الاحتراس بأن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط والغفلة فيقضى ذلك إلى تعطيل منافع جمّة.<sup>116</sup>

---

<sup>115</sup> مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٢٠.

<sup>116</sup> صفوة التفاسير: ج ٣ - ص ٥٣١.

## الفصل الرابع

### الوصية بالوفاء بالعهد

الوصية بالوفاء بالعهد جاءت في سورة الأنعام عند قوله تعالى ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ

أَوْفُوا﴾.<sup>117</sup> ثم جاءت في سورة الإسراء ضمن ما قضاه الله وأحكم لعباده وكلفهم

إياه، قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>118</sup> إلى أن يقول

﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ ۗ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>119</sup>

ثم تكرر في القرآن الكريم الحث على الوفاء بالعهد والنهي عن نقض الميثاق

بما يقرب من خمسة وعشرين موضعا مثبتة في عشر سور<sup>120</sup>.

---

<sup>117</sup> الآية ١٥٢.

<sup>118</sup> الآية ٢٣.

<sup>119</sup> الآية ٣٤.

<sup>120</sup> وهي في السورة الآتية: البقرة ٢٧، ٤٠، ٨٠، ١٠٠، ١٧٧، وال عمران ٧٦، ٧٧

والأنفال ٥٦ والتوبة ١، ٤، ١٢ والرعد ٢٠، ٢٥، والنحل ٩٠، ٩٥ وطه ٨٦، ١١٥ والمؤمنون

٨، ويس ٦٠ والأحزاب ١٥، ٢٣.

## المبحث الأول: معنى العهد في القرآن الكريم

يرى الأصفهاني في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن" أن العهد في الأصل هو حفظ الشيء ومراعاته حال بعد حال، وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً<sup>121</sup>.

فهو اسم لما التزم الإنسان فعله والقيام بالمحافظة عليه. "وأصل العهد هو الوعد المؤكد بقسم والتزام، ووعد الذي لا يخلف الوعد كالعهد"<sup>122</sup>.

وعلى هذا ذكر ابن عاشور في تفسيره: "العهد هو إلتزام بين إثنين أو أكثر على شيء يعامل كل واحد من الجانبين الآخر به وسمي عهداً لأنهم يتحالفان بعهد الله أي بأن يكون الله رقيباً عليهما في ذلك لا يفوتهم المؤاخذة على تخلفه"<sup>123</sup>.

وإذا لاحظنا نجد أن لفظ العهود في القرآن الكريم يرادف لفظ العقود حيث

أن كليهما تشمل نوعاً من الإلتزامات، قال تعالى ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>124</sup>

وأصل العقد -في حقيقته- هو الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرها.<sup>125</sup>

والأمر بإيفاء العقود يدلّ على وجوب ذلك، لأن العقود شرعت لسدّ حاجات الأمة. فهي من قسم المناسب الحاجي، فيكون إتمامها حاجياً، من هنا

<sup>121</sup>ص ٥٩١.

<sup>122</sup>التحرير والتنوير: ج ١ - ص ٥٨٠.

<sup>123</sup>التحرير والتنوير: ج ١٨ - ص ١٦.

<sup>124</sup>سورة المائدة، الآية: ١.

<sup>125</sup>مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٧٦.

أصبح الوفاء بالعهد ضروريا لإيجاد من الثقة والطمأنينة في علاقات الأفراد وعلاقات الجماعات وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهد لأنها مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة.

فهو سبيل قوي لتبادل الثقة، وتبادل الثقة من أقوى عناصر الحياة الآمنة والمطمئنة.

ومن هذا المعنى يلوج المفهوم الأخلاقي الذي يجعلنا نحس بان "الوفاء بالعهد" بمعناه العام يدخل ضمن الفضائل الإسلامية القرآنية المحيطة ويدل على ذلك أنه تعالى حكم بحصول الفلاح قام بالوفاء بالعهد، وهو من أجل مراتب السعادة.

قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾

126 ﴿٨﴾ رَاعُونَ ﴿٨﴾

## المبحث الثاني: أنواع العهود في القرآن الكريم

العهد المتضمن في هذه الوصية هي العهود العامة فيما عقدها الإنسان بينه وبين ربه، أو بين قدمي في طاعة لقوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنََّّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم العهود باعتبار مصدرها إلى قسمين، وهما:

1. القسم الأول: العهد الفطري.

2. القسم الثاني: العهد التكليفي.

### القسم الأول: العهد الفطري

إن أعلى هذه العهود وأجدر بالرعاية والعناية هو عهد الله جل جلاله الذي أشار إليه القرآن في قوله ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾<sup>127</sup> وقوله ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾<sup>128</sup> إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

<sup>127</sup>سورة الرعد، الآية: ٢٠.

<sup>128</sup>سورة النحل، الآية: ٩٥.

وقد أشار الله جل قدره إلى مضمون هذا العهد الالهي حين قال ﴿الْمَرْ  
 أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَبْنِيَّ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۗ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ  
 مُّبِينٌ ۗ﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿129﴾.

وهذا العهد الذي أمرنا الله تعالى بالوفاء به قيل هو العهد الفطري الذي ذكره  
 الله في سورة الأعراف بقوله ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ  
 وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ  
 أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ  
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۗ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا  
 عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا  
 ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ ۗ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٣٠﴾.

ذلك العهد الكبير الذي أخذه الله تعالى على جميع عباده بعد أن أشهدهم  
 على أنفسهم وأقرهم على أرواحهم "ألسنت برّبكم؟ فقالوا: بلى" أي بلى شدنا  
 بربوبيتك وألوهيتك ووحدانيتك.

129 سورة يس، الآية: ٦٠-٦١.

130 الآية: ١٧١-١٧٢.

إنما فطرة التوحيد التي فطر الناس عليها بعد إقرارهم بها وشهادتهم عليها وإذا عاينهم لها، إلا أنهم بعد تكامل حواسهم وترقي مدركاتهم وتوجه التكليف إليهم ينقسمون إلى طائفتين هما:

1. طائفة تحافظ على العهد وتدوم عليه في مجال السير والسلوك والعمل.
  2. طائفة تنقض العهد وتفسد الميثاق وتتحرف عن حادة الرحمن وتسلك عبادة الشيطان.
- لهذا، أراد سبحانه من عباده أن يذكروا ويتذكروا ما عاهدوا الله وما أحكموا له من الميثاق.

ذكر ابن كثير، أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرتهم على التوحيد، وهذا ما ذكره السلف والخلف في تفسير الآية.<sup>131</sup>

إنما قضية الفطرة والعقيدة يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد على طريقة القران الغالبة.<sup>132</sup>

وهذا يدل أن حقيقة التوحيد مركوزة في هذه الفطرة يخرج بها كل مولود إلى الوجود فلا يميل عنها إلا أن يفسد فطرته عامل خارجي عنها، يستعمل الإستعداد البشري للعهد والضلال... وهو استعداد كذلك كان تخرجه إلى خير الوجود ملابسات وظروف.

فهذا العهد هو العهد الذي قطعه الله على فطرة البشر بالإيمان بوجوده وتوحيده وعلى هذا العهد الأول تقوم جميع العهود.

<sup>131</sup> تفسير القرآن العظيم: ج ٢ - ص ٣٦٠.

<sup>132</sup> يراجع كتاب "التصوير الفني في القرآن الكريم" للسيد قطب: ص ٣٦-٧٠.

والحاصل أن العهد الفطري هو ما تقتضي به فطرة الله التي فطر الناس عليها، وذلك بمنح الإنسان عقلا به يفكر ويستدل وكأنه بهذا وذاك أخذ على الناس عهدا أن يؤمنوا به وألا يشركوا به شيئا، وأقام بهذا العهد الحجة عليهم، قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

133

#### القسم الثاني: العهد التكليفي

وبجانب العهد الفطري هناك عهد تكليفي ويشمل فيه الإتيان بجميع المأمورات والإنهاء عن كل المنهيات، ويدخل فيه الوفاء بالعقود في المعاملات وأداء الأمانات.

فمن هذه العهود منها عهد خاص بالمؤمنين بالنسبة لشرع الله الذي به آمنوا فإختم أخذوا على أنفسهم لله عهدا أن ينفذوا أوامره وأن يجتنبوا نواهيه.

ومنها أيضا عهد خاص بأرباب الأعمال كالحكام، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿134﴾

133 سورة الروم، الآية ٣٠.

134 سورة النساء، الآية: ٨٥.

ومنها أيضا عهد خاص لأهل العلم، قال تعالى فيهم ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾<sup>135</sup>

فقد أخذ الله الميثاق على اليهود في التوراة بأمرين، وهما بيان الكتاب وعدم كتمانها باخفاء شيء منه.

والإشراء هنا مجاز في المبادلة والتمن القليل هو ما يأخذونه من الرشى والجوائز من أهل الأهواء والظلم من الرؤساء والعامّة على تأييد المظالم والمفاسد بالتأويلات الباطلة.

وظاهر هذه الآية وإن كان مختصا باليهود والنصارى فإنه لا يعبد أيضا دخول المسلمين فيه، لأنهم أهل القرآن وهو أشرف الكتب<sup>136</sup>.

ذكر ابن عاشور: "هذه الآية وإن كانت في أهل الكتاب إلا أن حكمها يشمل من يرتكب مثل صنيعهم من المسلمين لاتحاد جنس الحكم والعلة فيه."<sup>137</sup> وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم الدال على العمل والصلاح ولا تكتموا منه شيئا<sup>138</sup>.

<sup>135</sup>سورة ال عمران، الآية: ١٨٧.

<sup>136</sup>تفسير الرازي: ج ٩ - ص ١٣٥.

<sup>137</sup>التحرير والتنوير: ج ٤ - ص ١٩٣.

ولقد بلغ الإسلام من الوفاء بالعهد لأصدقائه وخصومه على السواء قمة لم تصعد إليها البشرية في تاريخها كله ولم تصل إليها إلا على حذاء وهدي الإسلام.

فقد حذر من نقص العهد حتى لو كان مع كفار يخشى خيانتهم قال تعالى

﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا

تُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾<sup>139</sup>

إن العهد المأمور بالإيفاء به عام في جميع ما أمر عهده الله إلى عباده وما إنعقد بين إنسانين، مصداقا لقوله تعالى ﴿وَعَهْدَ اللَّهِ أَوْفُوا﴾.<sup>140</sup>

وأضيف "العهد" إلى الله من حيث أمر بحفظه والوفاء به<sup>141</sup> وتقدم المجرور على عامله للاهتمام بأمر العهد وصرف ذهن السامع عنه ليتقرر في ذهنه ما يرد بعده من الأمر بالوفاء، أي إن كنتم ترون الوفاء بالعهد مدحة، فعهد الله أولى بالوفاء وأنتم قد اخترتموه.<sup>142</sup>

<sup>138</sup> وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله "من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ومن قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار".

الحديث رواه أبو يعلى ورواته ثقات محتج بهم في الصحيح - رواه الطبراني في الكبير والأوسط بسند جيد. (الترغيب والترهيب: ج ١ - ١٣١).

<sup>139</sup> سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

<sup>140</sup> سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

<sup>141</sup> الجامع لأحكام القرآن: ج ٧ - ص ٨٩.

<sup>142</sup> التحرير والتنوير: ج ٨ - ص ١٧٠.

فالوفاء بهذه العهود -الفطري والتكليفي- واجب ومطلوب يطلب من

المعاهد أن لا يضيعه ويفي به، قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ

مَسْئُولًا ۝<sup>143</sup>

وإذا عدنا إلى صيغة الآية نجد أن جملة "إن العهد كان مسؤولاً" تعليل للأمر

وللإيجاب الذي اقتضاه، وإعادة لفظ "العهد" في مقام اضماره للاهتمام به<sup>144</sup>.

ففي آية أخرى يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝<sup>145</sup>

ففي الآية تهديد ووعيد، بأنه سوف يسأل عنه...هل وفي المعهود به أو نقضه،

فيجازي عليه!

ويشترط في الوفاء بالعهد أن لا يكون في معصية وإذا كان القرآن المجيد

يطلب منا الوفاء بالعهود، فإنما يلزم هذا الوفاء ما لم يكن الأمر المتعاقد عليه مخالفاً

لأمر الله.

<sup>143</sup>سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

<sup>144</sup>التحرير والتنوير: ج ١٥ - ص ٩٧.

<sup>145</sup>سورة الأحزاب، الآية: ١٥.

## الفصل الخامس

### الوصية بحفظ الأمانة

لقد تحدث القرآن الكريم عن الأمانة في مواضع عديدة حثا على رعايتها وصيانتها. فالأمانة بكل مدلولاتها أساس الحياة المجتمع الاسلامي، وتعلب دورا مهما في استقامة أحوال المسلمين وهو دليل نزاهة النفوس واعتدال أعمالها.

ومن الآيات المجيدة التي تحت برعاية الأمانة قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

أَنْ تُوَدُّوا الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا

بَصِيرًا ﴿١٤٦﴾

أمر الله جل قدرته في هذه الآية بأداء الأمانة إلى أهله وهو يقوم جميع الأمانات الواجبة من حقوق الله تعالى على عباده - كالصلاة والصوم وغيرها- ومن حقوق العباد بعضهم على بعض في شؤون المعاملات.

### المبحث الأول: معنى الأمانة

الأمن والأمانة في الأصل مصادر، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، ويجعل الأمن تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن وتارة اسماً

لما يؤمن عليه الإنسان، نحو في قوله تبارك وتعالى ﴿وَتَحُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾<sup>147</sup>

والأمن ضد الخوف، والأمانة ضدّ الخيانة، والإيمان ضدّ الكفر وهو بمعنى التصديق ضدّه التكذيب.<sup>148</sup>

من هنا نجد أن هناك ثلاثة ألفاظ من مادة -الألف، والميم، والنون- وبينها علاقات. وهذه الكلمات هي الأمن والأمانة والإيمان، والمعنى المشترك بينها هو الاطمئنان، لأن الأمانة تدل على الثقة، والثقة اطمئنان، والأمن عدم الخوف، وعدم الخوف اطمئنان، والإيمان تصديق وإذعان وفيهما استقرار واطمئنان<sup>149</sup>.

ولفظة الأمانة لا تقتصر معناه على والوديعة التي تودع عند الناس فقط، بل

يشمل ألواناً متعدّدة، من ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

<sup>147</sup> مفردات ألفاظ القرآن: ص ٩٠ والآية سورة الأنفال ٢٧.

<sup>148</sup> لسان العرب: ج ١٣ - ص ٢٤.

<sup>149</sup> موسوعة أخلاق القرآن: د. أحمد الشرباص: ج ٢ - ص ١٥.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ  
مِثَّهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿١٥٠﴾.

فهذه الآية الكريمة تبين أن التكليف التي أمر الله بها الإنسان أمر عظيم في مسؤوليته وفي جزائه.

ذكر الأصفهاني في كتابه مفردات ألفاظ القرآن أن معنى الأمانة هنا فيه أقوال، قيل هي كلمة التوحيد، وقيل العدالة، وقيل حروف التهجي، وقيل العقل. ثم مال إلى اختيار معنى العقل لأنه في رأيه يشمل الأقوال السابقة، فقال عنه: "وهو الصحيح، فإن العقل هو الذي يحصله بحصوله معرفة التوحيد وتجري العدالة وتعلم حروف التهجي، بل بحصوله تعلم كل ما في طوق البشر تعلمه، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله وبه فضل على كثير ممن خلقه."<sup>151</sup>

وذكر الجمهور من المفسرين أن الأمانة تعم جميع وظائف الدين.<sup>152</sup> وعلى

هذا فالأمانة تشمل كل الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد.<sup>153</sup>

الأمانة في حقيقتها المعلومة الحفاظ على ما عهد عند به ورعيه والحذار من الاخلال به سهواً أو تقصيراً. فالأمانة بهذا المفهوم هي عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك حق فأديت ذلك الحق إليه فهذا هو الأمانة.<sup>154</sup>

<sup>150</sup>سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

<sup>151</sup>ص ٩٠.

<sup>152</sup>الجامع لأحكام القرآن: ١٤ - ص ١٦٢.

<sup>153</sup>ينظر: تفسير روح المعاني: ج ٩ - ١٩٥.

فهى الشىء الذى يجعله صاحبه عند شخص ليحفظه إلى أن يطلبه منه، وتطلق الأمانة مجازاً على ما يجب على المكلف إبلاغه إلى أربابه ومستحقه من الخاصة والعامه كالدين والعلم والعهد والنصيحة وغيرها.<sup>155</sup>

### المبحث الثانى: أنواع الأمانة

قلنا إن ألفاظ الأمانة لا تقتصر معناها على الوديعة فقط بل يشمل ألوانا متعددة.

فالإنسان يعيش حياته وسط الإنغمار فى أمانات لا تعد ولا تحصى فلا بد أن يؤديها ووفق إرادة المستودع... فحياة الإنسان بكل ما تتضمنه من نعم هى أمانات استودعها الخالق لدى كل نفس بمقدار وشرع للناس منهج الأداء وكيفية.<sup>156</sup>

لهذا اهتمت الشريعة الإسلامية اهتماما بالغا فى تأكيد وجوب أدائها، قال

الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.<sup>157</sup> أمر

الله جل قدرته المؤمنين فى هذه الآية بأداء الأمانات فى جميع الأمور سواء كانت تلك الأمور من باب الديانات أو من باب الدنيا والمعاملات حيث جاءت بصيغة صريحة إذا لا يقبل الشك فيها.

وبناء على معاملة الإنسان فإن راعية الأمانة تشمل على ثلاثة أنواع:

<sup>154</sup> مفاتيح الغيب: ج ١٠ - ص ١٤٥.

<sup>155</sup> التحرير والتنوير: ج ٥ - ص ٩٢.

<sup>156</sup> البناء القرآنى للأخلاق، شاعر عبد الجبار: ص ٦٥.

<sup>157</sup> سورة النساء، الآية ٥٨.

1. رعاية الأمانة مع الرب، فهي كلّ فعل المأمورات وترك المنهيات.
2. رعاية الأمانة مع سائر الخلق، فيدخل فيها ردّ الودائع وحفظ حقوق الإنس والبعد عن الاعتداء عليهم.
3. رعاية الأمانة مع نفسه، فهو أن لا يختار ما هو الأنفع والأصلح له في الدين والدنيا وأن لا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في الآخرة.<sup>158</sup>

### المبحث الثالث: فضيلة الأمانة

قلنا إن الأمانة تلعب دورا هاما لحفظ استقرار ونظام المعاملة بين أفراد المجتمع لهذا عظم الله مكانتها.

فالأمانة والعهد وصفان متلازمان، فحيث وجدت الأمانة وجد معها الوفاء بالعهد، وحيث فقد أحدهما فقد معه الوصف الآخر، وإنما يكون الرجل أمينا إذا كان ذا وفاء بعهده وكلامه أمام الآخرين، وإنما يتسم الرجل بالوفاء بالعهد إذا كانت الأمانة من مقومات شخصية.

ويعتبر كلاهما من أهم الركائز التي لا بدّ منها لشخصية المسلم، إذ عليهما يدور أمر النظام العام في جميع الشؤون في الأنفس والأموال والأقوال والأفعال وبهما انتظام الحياة وحفظ الحقوق.

بهذا فليس عجبيا أن يقول الرسول عليه الصلاة والسلام "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له".

<sup>158</sup> مفاتيح الغيب: ج ١٠ - ص ١٤٣.

## الباب السادس

### الوصية بالصبر

أولى الوصايا في مكارم الأخلاق هي الوصية بالصبر وذلك لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، وجاءت الوصية به في سورة لقمان ضمن وصيته لأبنه، قال تعالى ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنَ الْعَزْمِ الْأَمْوِرِ﴾.<sup>159</sup>

الصبر من أبرز الأخلاق القرآنية التي عني بها الكتاب المجيد في سورة المكية والمدنية. ولعل القرآن الكريم لم يكثر من ذكر خلق من أخلاقه كما فعل في شأن الصبر، ولأهميته كثر القرآن الوصية به، وأكثر من ذخره حتى قال الإمام أحمد: "الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا."<sup>160</sup>

---

159 الآية ١٧.

160 مدارج السالكين لابن القيم: ج ٢ - ص ١٠.

وذكر الإمام الغزالي في باب الصبر والشكر من ربع المنجيات من كتابه المشهور "إحياء علوم الدين": ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً.<sup>161</sup> وذكر محمد فؤاد عبد الباقي في كتابه القيم "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" مادة -صبر- بكل مشتقاتها الواردة في القرآن الكريم مائة وثلاث مرّات.<sup>162</sup>

القران الكريم يشير إلى ضرورة الصبر في الحياة لما فيها من الابتلاء والمعانات، يقول الله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>163</sup> ويقول أيضا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

<sup>161</sup> إحياء علوم الدين: ج ٤ - ص ٦١.

<sup>162</sup> وفي رأيي أنّ هذه التقديرات كلها صحيحة، لأن الموضوع الواحد قد تذكر فيه مادة الصبر أكثر من مرة، فيحسبها بعضهم موضعاً واحداً، والآخر موضعين أو أكثر. مثال ذلك قوله تعالى في سورة الكهف ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (١١) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (١٢) الآية: ٦٧-٦٩. تردّد ذكر الصبر عدة مرّات، ويمكن اعتبارها كلها موضعاً واحداً.

<sup>163</sup> سورة الإنسان - الآية ٢.

فِي كَبِدٍ ﴿١٦٤﴾ أَي فِي شِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ لِمَا يَعْانِيهِ مِنْذُ مَوْلَدِهِ مِنْ شِدَائِدِ الْحَيَاةِ الْمَمْزُوجَةِ

بالذات والآلام، وما يعانیه بعد بلوغه من الابتلاء بالمسؤولية وأمانة التكليف.  
قال ابن عباس رضي الله عنه "في كبد"، أي في مشقة وشدة من حمله  
وولادته ورضاعه وفضامه ومعاشه وحياته وموته<sup>165</sup>.

ويقول الله تعالى أَيضًا ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْسَرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا

تُرْجَعُونَ﴾<sup>166</sup> أَي وَنَحْتَبِرُكُمْ بِالْمَصَائِبِ وَالتَّعَمُّ لِنَرَى الشَّاكِرَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالصَّابِرَ  
من القانط.

ونحن لا ننسى -ولا ينبغي لنا أن ننسى- أن القرآن الكريم نسب إلى  
الإنسان كثيرا من السيئات، وهذه أوصاف خاصة بالإنسان الذي أعرض عن ربه  
وانحرف عن طريقه،<sup>167</sup> فلو احتفظ الإنسان بفطرته الأصيلة واستمسك بالإيمان

<sup>164</sup>سورة البلد - الآية ٤ .

<sup>165</sup>تفسير الخازن -المسمي- لباب التنزيل في معاني التأويل: ج ٤- ص ٢٤٨ .

<sup>166</sup>سورة الأنبياء - الآية ٣٥ .

<sup>167</sup>ومن ذلك، قوله تعالى:

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ سورة إبراهيم - الآية ٣٤

وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا سورة الكهف - الآية ٥٤

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا سورة المعارج - الآية ١٩

والعمل والصّالح والحق والصّبر، لما استحقّ شيئاً من هذه الصّفات التي يشوه الإنسان

بها فطرته. ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ

﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾<sup>168</sup>

فأخبر سبحانه وتعالى خيراً ما كدّاً بالقسم وحكم بالخسارة على جميع الناس

إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي

بالصبر على الشدائد والمصائب وعلى فعل الطاعات.

وحسبنا بمزية الصبر أنّ الله جعله مكمل سبب الفوز.

فالصبر ضرورة لا زمة للإنسان، لأنه ملاك إستقامة الأعمال ومصدرها، فإذا

تخلف به المؤمن صدرت عنه الحسنات والفضائل بسهولة.

﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ سورة العاديات - الآية ٦.

<sup>168</sup>سورة العصر: الآية ١ - ٣.

المبحث الأول: معنى الصبر

أصل الصبر هو المنع والحبس والكفّ، يقال "صبرت نفسي على ذلك الأمر" أي "حسبتها" و "صبرت نفسي عن ذلك الشيء" أي "كففتها" ونقيضه هو الجزع.<sup>169</sup>

ومنه قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ<sup>ط</sup> وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾<sup>170</sup>

أي احبس نفسك معهم. وقد جاء في القرآن الكريم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا

أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾<sup>171</sup>. والصبر في القرآن يعني حبس النفس

على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان جسها عنه.<sup>172</sup>

والصبر لفظ عام خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقع، فإن كان حبس

النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة

ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي ربح الصدر ويضاده الضجر، وإن

<sup>169</sup>لسان العرب: (مادة صبر): ج ٤ - ص ٤٣٨.

<sup>170</sup>سورة الكهف - الآية ٢٧.

<sup>171</sup>سورة إبراهيم - الآية ٢١.

<sup>172</sup>مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٤.

كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده المذل. وقد سمي الله تعالى كل ذلك صبراً

ونبه عليه بقوله ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ﴾<sup>173</sup>

وزعم كثير من الناس أن الصبر خلق سلبي، وأن معناه الاستسلام والرضى بالواقع والكف عن معالجة الأمور والاحتيال للخروج من الشدائد والأزمات، وهذا وهم فاسد، فالصبر كما يكون جهداً نفسياً للتأبى على المعاصي والابتعاد عن السيئات، يكون في كثير من الأحيان جهداً عملياً إيجابياً، فيه حركة وسعى وإنتاج وتحمل للتبعات وتعرض لجلال الأعمال ومواقف الأبطال.<sup>174</sup>

وقد علم ذلك، علماؤنا الأجلاء حتى في المجال الصوفي، فحقيقة الصبر عند أرباب التصوف خلق فاضل من أخلاق النفس يمنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.<sup>175</sup>

### المبحث الثاني: في الفرق بين الصبر والتصبر والإصطبار والمصابرة

واشتق من الصبر: التصبر والإصطبار والمصابرة، والفرق بين هذه الصفات يكون بحسب حال العبد في نفسه وحال من غيره.

1. الصبر: وذلك إن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسن إن كان خلقاً له وملكة.

<sup>173</sup> مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٤ والآية سورة البقرة ١٧٧.

<sup>174</sup> ينظر: موسوعة أخلاق القرآن، ج ١- ص ١٩٤.

<sup>175</sup> عدة الصابرين لابن القيم - ص ١١.

2. التَّصَبُّرُ: هو إن كان بتكَلَّفٍ وتمَرَّنَ وتَجَرَّعَ لمرارته، وذلك كما يدلُّ عليه هذا البناء لغة، فإنه موضوع للتكلف كالتحلُّم والتشجُّع.<sup>176</sup> فالتصَبُّرُ هو تكلف الصَّبْرِ.

3. الإصطبار: زيادة الصَّبْرِ على الأمر الشاق، فهو أبلغ من التصبر لأن صيغة

الافتعال ترد لافادة قوَّة الفعل،<sup>177</sup> منه قوله تعالى ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ

تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾<sup>178</sup> قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: "وكان الشأن

أن يعدى الاصطبار بحرف "على" كما في قوله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ

بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾<sup>179</sup> ولكنه عدي هنا باللام لتضمينه معنى

الثبات، أي اثبت بالصَّبْرِ لعبادته، لأن العبادة تورد شذائد فاثبت لها.<sup>180</sup>

4. المصابرة: هي مطاولة غيرك في الصَّبْرِ، وصيغة المصابرة تفيد مفاعلة من

جانبين كالمشاقمة والمضاربة ومنه قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

<sup>176</sup>لسان العرب: مادة (صبر)، ج ٤ - ص ٤٣٩.

<sup>177</sup>ينظر: التحرير والتنوير، ج ١٦ - ص ١٤٢.

<sup>178</sup>سورة مريم - الآية ٦٥.

<sup>179</sup>سورة طه - الآية ١٣٢.

<sup>180</sup>تفسير النهر الماد من البحر المحيط: ج ١/٢ - ص ٣٩٧.

أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿181﴾

قال ابن القيم في تعليقه على الآية: فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر مع نفسه، والمصابرة وهي حالة في الصبر مع خصمه والمرابطة وهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة. وقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرباط، وقد يصبر ويصابر من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى، وأن الفلاح موقوف عليها، فقال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>182</sup>

فكأنه انتقال من الأدنى إلى الأعلى، فالصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة. وهذا يؤكد أن القرآن المجيد لم يكتف من المؤمنين بمجرد الصبر، بل طلب منهم درجة آخر بعد الصبر وهي المصابرة.

وهناك اشتقاق آخر من لفظ الصبر، وهما الصبار -بتشديد الباء- والصبور. والفرق بينهما كما قال الرّاعب الأصفهاني أن الصبور هو القادر على الصبر، وأمّا الصبار هو الذي عنده ضرب من التكلف والمجاهدة في الصبر، منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَأَيَّتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾<sup>183</sup>

<sup>181</sup>سورة ال عمران - الآية ٢٠٠.

<sup>182</sup>عدّة الصّابرين: ص ١٦.

<sup>183</sup>مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٧٤، والآية سورة الشورى ص ٣٣.

## الفصل السابع

### الوصية بالثبوت من الحق والعدل في الكلام

ومن وصايا مكارم الأخلاق في القرآن الكريم وصية الثبوت من الحق والعدل في الكلام، وهي مهمّة لأنها تجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهلك من جراء الإسناد إلى أدلة موهومة، وهي شائعة في عصرنا الحاضر بكل أنواعها. والمراد من هذه الوصية هو النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم ويعمل بما لا علم له به.

فالثبوت من الحق هو دعوة القرآن الكريم ومنهج الإسلام الدقيق، لأنه متى إستقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة والحكم والقضاء والتعامل.

جاءت هذه الوصية في سورة الإسراء، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا<sup>184</sup> ﴿ نفهم من هذه الوصية أنّ كل ما يصدر عنّا يجب أن

يخضع للتبصّر والتثبت والتحقق وأن لا يعطي حكم بأيّ شأن إلا بعد اقتناع ويقين

...

ذكر قتادة وابن عباس رضي الله عنهما هذا الاتجاه، فقالا: "لا تقل رأيت

وأنت لم تر، وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم"<sup>185</sup>.

وتندرج تحت هذه الوصية أنواع كثيرة، وأهمّها تجنّب الكذب لأنه جماع كل

شرّ.

وكلّ خير كان غير مطابقا للواقع فهو كذب.<sup>186</sup> فهو أسّ الرذائل، به

يتصدع، وهو أقيح الذنوب وأفحشها، قال الله تعالى في ذلك ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي

<sup>184</sup>سورة الإسراء - الآية ٣٦، أصل القفو: قفوته: أصبت قفاه، وقفوت أثره. واقتفيته:

تبعت قفاه. والافتفاء: اتباع القفا ويكفي بذلك عن الاعتباب وتتبع المعاييب. وقوله تعالى ﴿ولا

تقف ما ليس لك به علم﴾ أي لا تحكم بالقيافة والظن، والقيافة مقلوبة عن الإفتفاء فيما قيل.

(مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٨٠). قال الإمام القرطبي - رحمه الله أصل القفو: البهت والقذف

بالباطل. (الجامع لأحكام القرآن: ج ١٠ - ص ١٦٧).

<sup>185</sup>الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ - ص ١٦٧.

<sup>186</sup>الإسلام سبيل السلام: ص ١٢٠.

الْكَذِبِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ <sup>ص</sup> وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْكٰذِبُونَ <sup>187</sup> ﴿

جاء الأسلوب بصيغة الحصر (إنما) للدلالة على أن الكذب من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش،<sup>188</sup> فالكاذب جبان ساقط المروءة لا قيمة له عند أهله وأصدقائه وقومه، مهان في نظر أحبائه وأعدائه، إذا تكلم لا يصدق وإذا وعد لا يثق أحد بوعده، بل لا يثق هو بنفسه فهل يرضى عاقل أن يتصف بهذه الصفة الدنيئة؟

من هنا نهي الله جلّ قدرته عن هذه الرذيلة فقال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَفْتَرُوا

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ <sup>ج</sup> إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا

يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ <sup>189</sup> ﴿

وفي ضوء هذه الوصية أيضا، وصى الله جلّ قدرته بالعدل في الكلام والمنطق

في كل الأحوال.

<sup>187</sup>سورة النحل- الآية ١٠٥.

<sup>188</sup>ينظر: مفاتيح الغيب، ج ٢٠-ص ١٢١.

<sup>189</sup>سورة النحل- الآية ١١٦-١١٧.

والقرآن الكريم قد عني عناية كاملة بالعدل والعجيب في أمر هذا الحديث،  
أنه استعرض مواطن عديدة ينبغي أن يتحقق العدل فيه، ومنها العدل في الكلام، إذ  
أن الكلام يعبر عن مستوى عقل المتحدث، فكلمة إرتقى عقله فاض على لسانه  
العقول المجود الخالي من الفضول البعيد عن الحماية، وكلمة تدني عقله إندلق لسانه  
بلا تبصر يسيء حيث ينبغي الإحسان ويتخطب ويتهافت ...

لهذا، وصّى الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام بالعدل في الكلام. قال تعالى  
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾<sup>190</sup> أي يجب عليكم أن  
تعدلوا في قولكم، فتكونوا صادقين إذا نطقتم بشهادة أو حكم على أحد، ولا يجوز  
أن تحيدوا عن طريق الحقّ والعدل متأثرين بعامل القرابة. فالله قد حرم الميل في النطق  
بالشهادة ولو كان هذا لمحاباة أحد القرباء.

وفي التعليق بأداة الشرط في قوله (وَإِذَا قُلْتُمْ) إشارة إلى أن المرء في سعة

من السكوت إن خشي قول العدل.<sup>191</sup>

ومن أجل ذلك ليس عجيباً أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إياكم  
والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار..."<sup>192</sup>

<sup>190</sup>سورة الأنعام - الآية ١٥٢.

<sup>191</sup>التحرير والتنوير: ج ٨ - ص ١٦٧.

<sup>192</sup>الحديث رواه البخاري ومسلم.

فتح الباري: كتاب الآداب - باب قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

## الباب الثامن

### الوصية بالتواضع

من وصايا مكارم الأخلاق الواردة في القرآن الكريم الخاصة بمعاملة الناس في الحياة الاجتماعية هي الوصية بالتواضع. فهو من الخصال الحميدة التي ترفع مقام الشخص وتعلو قدره وتسمو بالنفس وتسبع على الإنسان حلل الكرامة وتحوطه بأسوار المهابة.

جاءت هذه الوصية في سورة الإسراء التي سيقت فيها بعنوان "الفضاء

والحكم"، قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا <sup>193</sup>﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ

لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا <sup>194</sup>﴾

---

صحيح مسلم: كتاب البرّ والصلة-باب الكذب وحسن الصدق (ج ٤-ص ٢٠١٣).

<sup>193</sup>سورة الإسراء - الآية ٢٣.

<sup>194</sup>سورة الإسراء - الآية ٣٧.

ثم جاءت في وصية لقمان لابنه، قال جل جلاله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ  
 خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِحْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ  
 صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩٥﴾

لا يخفى أنّ في هذه الآية الكريمة من الحثّ الحثيث للإنسان على أن يتخلق  
 بالأخلاق الحسنة ويتأدب بمحاسن الآداب من التربية الدينية الإنسانية والأخلاق  
 الإسلامية السامية وعلى رأسها التواضع.

والتواضع موجه من خلال النص القرآني المقترن بتطبيق عمليّ تولاه النبي،

يقول تبارك وتعالى ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>196</sup>

### المبحث الأول: معنى التواضع

لم ترد كلمة التواضع بلفظها في القرآن الكريم، ولكن وردت آيات أو كلمات  
 تشير إليها وتدلّ عليها.

<sup>195</sup>سورة لقمان - الآية ١٨-١٩.

<sup>196</sup>سورة الشعراء - الآية ٢١٥.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

سَلَامًا﴾<sup>197</sup> وقوله جل جلاله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ<sup>ط</sup>

وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ<sup>ط</sup>

عَنَّهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ<sup>ط</sup> فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ<sup>ج</sup> إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>198</sup>

كلمة التواضع مأخوذة من مادة "وضع" وهي تدل على خفض الشيء، أي ضدّ الرفع، وهو مشتق من "الضعة" بمعنى خلاف الرفة في القدر، فالتواضع هو التذلل،<sup>199</sup> وليس معنى هذا، أن التواضع يفتح أمام الإنسان باب المذلة والهوان بل أنه جعل الإنسان إلى العزّ الحقيقي المحمود عند الله جل جلاله، قال تبارك وتعالى: ﴿

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي

اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

<sup>197</sup>سورة الفرقان- الآية 63.

<sup>198</sup>سورة العمران - الآية 159.

<sup>199</sup>لسان العرب- مادة وضع: ج 8-ص 397.

الْكَافِرِينَ تُمْجَهُدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ<sup>ج</sup>  
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ<sup>ج</sup> وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ<sup>ك</sup> 200

والمراد بالذلة في الآية الكريمة الرحمة والشفقة واللين وليس المراد بها الهوان.<sup>201</sup>

والتواضع ضده التكبر.

المبحث الثاني: مظاهر التواضع في القرآن الكريم (خلال هذه الوصية)

إنَّ الله تبارك وتعالى دعا في محكم كتابه الكريم إلى اهتمام أمر التواضع في

الكثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

لِئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ<sup>ط</sup> فَلَمَّا

جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ

وَمَكْرَ السَّيِّئِ<sup>ج</sup> وَلَا تَحِيْقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ<sup>ك</sup> 202، وقوله

200 سورة المائدة- الآية ٥٤.

201 الجامع لأحكام القرآن ج ٦- ص ١٤٣.

202 سورة فاطر- الآية ٤٢-٤٣.

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ﴾<sup>203</sup>

ومن خلال دراستنا لهذه الوصية في القرآن المجيد نجد أنّ الإسلام إهتمّ بأمر التواضع اهتماما بليغا، فهو خلق يرتفع في ميزان القرآن. ومن مظاهر التواضع - التي ذكرها القرآن - في هذه الوصية ثلاثة أمور، وهي:

الامر الاول: الاعتدال في المشي والنهي عن التبختر والتفاخر فيه. قال

تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ

وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾<sup>204</sup>، وفي سورة لقمان - قال الله تعالى: ﴿

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

فَخُورٍ﴾<sup>205</sup> وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

وإسناد المرح إلى المشي هنا مجاز عقلي، والمشى في الأرض مرحا هو المشى في تخايل ونفخة وقلّة مبالاة بالناس، وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق، وهي

<sup>203</sup>سورة المعين - الآية ٦٠.

<sup>204</sup>سورة الإسراء - الآية ٣٧.

<sup>205</sup>سورة لقمان - الآية ١٨-١٩.

تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء،<sup>206</sup> وفي وضع المصدر موضع الصفة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ نوع من التأكي.

فذلك التواضع الذي يدعو إليه القرآن بتزديل المرح والخيلاء داء لعلاج أمراض الفرد في المجتمع من مرض التكبر، لأن صاحب هذا الخلق- المشي بالمرح- ملازمون للفخر والخيلاء فالله لا يرضى عن أحد من المختالين الفخوريين، لقوله

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>207</sup>

ولقد بلغ الإسلام اهتمامه بأمر المشي ويجعله صفة مميزة لعباد الرحمن

ومقوماتهم الخاصة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ

عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

﴿<sup>208</sup>

إذ أن المشي هو من أظهر ما يلوح على المرء من آدابه فهو ككل حركة تعبير

عن الشخصية وعما يستكن فيها من مشاعر.

والمشي الهون هو الذي ليس فيه ضرب- بالأقدام وخفق النعال فهو مخالف

لمشي المتجبرين المعجبين بنفو سهم وقوتهم، وهذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى

<sup>206</sup>المرح: شدة الفرح والتوسع فيه. (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٦٤).

<sup>207</sup>سورة لقمان- الآية ١٨.

<sup>208</sup>سورة الفرقان- الآية ٦٣.

والتخلق بآداب النفس العالية وزوال بطر أهل الجاهلية فكانت هذه المشية من خلال الذين آمنوا على الضّد من مشي أهل الجاهلية.<sup>209</sup>

والتخلق بهذا الخلق مظهر من مظاهر التخلق بالرّحمة المناسب لعباد الرّحمان، لأن الرّحمة ضدّ الشدة- فالهون يناسب ما هيئتها وفيه سلامة من صدم المارّين.<sup>210</sup>

ومع التّهي عن الخلق الذمّيم وهو عن مشية المرح، رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله في المشي فهو المشية المعتدلة القاصدة، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ

فِي مَشْيِكَ﴾<sup>211</sup> أي تواضع في مشيك إذا مشيت ولا تستكبر ولا تستعجل، بل

اعتدل واتمد. والقصد هو ما بين الاسراع والبطء، أي لا تدبّ ديبب المتماوتين ولا تلبّ وثب الشطار،<sup>212</sup> فهي المشية المعتدلة القاصدة التي تليق بالإنسان وتنبغي له.

الامر الثاني: النهي عن النظر بشق الوجه تكبرا وإعراضا، بأن لا يعرض

بوجهه عمّن يكلمه تكبرا واستخفا فإله. قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ

<sup>209</sup>ينظر: ظلال القرآن ج ٥-ص ٢٥٧٧.

<sup>210</sup>التحرير والتنوير: ج ١٩-ص ٦٨.

<sup>211</sup>سورة لقمان- الآية ١٩.

<sup>212</sup>الجامع لا حكام القرآن ج ١٤-ص ٤٨.

لِلنَّاسِ ﴿٢١٣﴾ قال ابن جرير - رحمه الله: "وأصل الصَّعْر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلتفت أعناقها عن رؤوسها، فشبه به الرجل المتكبر على الناس".<sup>214</sup>

والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتعبير عن الحركة المشابهة للصَّعْر حركة الكبر والازورار وإمالة الحَد للناس في تعالي واستكبار.

الامر الثالث: خفض الصَّوْت في الكلام وأن يجعله قصداً إذاتكلم، وعدم رفع الصَّوْت فيما لا فائدة فيه حتى لا يتشبه بالحمير في قبح الأصوات. قال تعالى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾<sup>215</sup> والغضُّ من الصَّوْت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوَّته. وجملة "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" تعليل علل به الأمر بالغضِّ من صوته باعتبارها متضمنة تشبيهاً بليغاً، أي لأن صوت الحمير أنكر الأصوات، ورفع الصَّوْت في الكلام يشبه نهيح الحمير غله حظ من النكارة.<sup>216</sup>

<sup>213</sup>سورة لقمان - الآية ١٨.

الصَّعْر: ميل في العنق والتصعير: إمالته عن النظر كبرا (مفردات ألفاظ القرآن - ص ٤٨٤).

<sup>214</sup>جامع البيان في تفسير القرآن - ج ٢١ - ص ٤٧.

<sup>215</sup>سورة لقمان - الآية ١٩. (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٠٨).

<sup>216</sup>التحريير والتنوير: ج ٢١ - ص ١٦٨.

الحديث رواه مسلم. صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (ج ٤ - ص ٢١٩٨).

تلك هي مظاهر الآداب في معاملة الناس، فنهاء عن احتقار الناس وعن التفخر عليهم، وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعدّ نفسه كواحد منهم، متواضع في نفسه احتراماً لمقام الخالق ذي العرش العظيم ... ثم متواضع مع الخلق بأن يحفظ الإنسان حق غيره إذ لا يرى تمييزاً لنفسه عليهم ...

## المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- أبو الحسن على بن أحمد النيسابوري الواحدي، أسباب النزول، بيروت: لبنان، 1398 هـ
- 3- محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الجزائر: الشركة التونسية للتوزيع، 1985 م
- 4- محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، بيروت: دار الشروق، د. ت
- 5- محمد مقدس، الإسلام سبيل السلام، بيروت: دار الفردوس، 1411 هـ
- 6- محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، تخريج عبد الرحيم بن الحسين العراقي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1406 هـ
- 7- محمد سعيد رمضان البوطي، أبحاث في القمة، دمشق: مكتبة الفارابي، د. ت
- 8- زكي الدين عبد العظيم المنذري، الترغيب والترهيب، بيروت: دار الإخاء، د. ت
- 9- محمد بن محمد العادي أبو السعود، تفسير ابن السعود -المسمى- ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، مصر: مطبعة محمد على صبيح وأولاده، د. ت

- 10- عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي - المسمى - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408 هـ
- 11- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، التونيس: الدار التونسية للنشر، د.ت
- 12- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، 1365 هـ
- 13- الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، بغداد: الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان، 1410 هـ
- 14- علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، تفسير الحازن - المسمى - لباب التأويل في معاني التنزيل، مصر: دار الكتب العلمية، د. ت
- 15- نظام الدين الحسن بن محمد بن حسن القمي النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1416 هـ
- 16- إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408 هـ
- 17- محمد بن يوسف بن علي بن الحيان الأندلسي، تفسير الكبير - المسمى - بالبحر المحيط، الرياض: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، د. ت
- 18- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دار المعرفة، 1392 هـ

- 19- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408 هـ
- 20- أحمد الصاوي المالكي، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، بيروت: دار الجليل، د. ت
- 21- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، لبنان: دار الفكر، 1403 هـ
- 22- أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصر: إدارة الطباعة المنيرية، د. ت
- 23- سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت: دار الشروق، 1980 م
- 24- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ
- 25- فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الرازي، مفاتيح الغيب، لبنان: دار الفكر، 1405 هـ
- 26- أبو حيان الأندلسي، تفسير النهر الماد من البحر المحيط، لبنان: دار الجنان، 1407 هـ
- 27- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دمشق: دار القلم، 1416 هـ
- 28- أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، لبنان: دار الرائد العربي، 1982 م
- 29- محمود شلتوت، الوصايا العشر، بيروت: دار الشروق، 1404 هـ

- 30- عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، بيروت: دار السلام للطباعة والنشر، 1404 هـ
- 31- أحمد سلمي، الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي مباحث اجتماعية في نطاق الأسرة وفي نطاق المجتمع، مصر: مكتبة التهضية المصرية، 1981 م
- 32- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت
- 33- أبو الحسن بن الحاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت
- 34- سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، بيروت: المكتبة العصرية، د. ت
- 35- السيوطي، سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت
- 36- الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مصر: دار المعارف، 1370 هـ
- 37- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410 هـ
- 38- ابن القيم الجوزية، عدة الصابرين ودخيرة الشاكرين، بيروت: مكتبة الشرق الجديد، 1986 م
- 39- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1408 هـ

40- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار

صادر، د. ت

## عن الكاتب

أحمد عبيدي فتح الدين : ولد في تيغال - جاوى الوسطى ونشأ بها، حيث تلقى تعليمه للمرحلة الأساسية فيها، ثم واصل دراسته إلى المعهد العصري "دار السلام" غونتور. حصل على الشهادة الجامعية في الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة مؤتة - كرك - المملكة الأردنية الهاشمية عام 1997 م، وحصل على الماجستير في اللغة العربية وعلوم القرآن من قسم الدراسات العليا بجامعة صدام للعلوم الإسلامية - بغداد - جمهورية العراق عام 2000 م، والآن في أثناء كتابة رسالة الدكتوراه في تعليم اللغة العربية في جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية بمالانق.

عمل في الجامعة الإسلامية الحكومية بكالونجان، حيث عين مدرّسا لمادة التفسير التربوي ومادة الكتابة لطلاب تعليم اللغة العربية، حبه للغة العربية بدأ منذ أن كان يتعلم في المعهد العصري غونتور. وقد كتب عدة المقالات العلمية اللغوية والإسلامية في التفسير وفي مجال تعليم اللغة العربية، كما شارك في عدد من المؤتمرات الوطنية والدولية بقضايا التربية وتعليم اللغة العربية.

والآن يكون رئيسا لمؤسسة نور العلوم للتربية والتعليم المنشغلة بشؤون التربية والتعليم من روضة تعليم القرآن للأطفال، وروضة الأطفال، والمدرسة الابتدائية، والمدرسة الثانوية.

المبحث الأول

Konsep keinginan

Perbedaan antara itu dan nasihat

Topik Pertama

Pengertian *Washiyat*

A. Definisi *washiyyat*

Menurut bahasa/etimologi kata *washiyyat* (dalam bahasa Indonesia wasiat) artinya pesan. Adapun menurut istilah/terminologi, wasiat adalah pesan terhadap sesuatu yang baik yang harus dilaksanakan sesudah seseorang meninggal. Atau tindakan seseorang terhadap harta peninggalannya yang disandarkan kepada keadaan setelah meninggal. (QS al-Baqoroh 180). Wasiat tidak boleh lebih dari sepertiga harta yang ditinggalkan, setelah selesai dikeluarkan untuk biaya pemeliharaan atau pemakaman jenazah dan melunasi semua utangnya.

Secara etimologi, kata *washiyyat* berasal dari Bahasa Arab bermaknan menyampaikan Perintah dalam bahasa adalah penerimaan orang yang memerintahkan sesuatu sedemikian rupa, berhubungan dengannya, dikatakan diperintahkan

dan dijaga oleh orang itu, apa pun yang dipercayakan kepadanya. Yang namanya perwalian, perwalian, dan perwalian. A juga akan: apa yang kau perintahkan, dan kau dipanggil wasiat karena hubungannya dengan masalah orang mati. Penjaga yang merekomendasikan, yang merekomendasikan dia, dan dia adalah salah satu kebalikan.

### **Kedua: konsep surat wasiat dalam Al-Qur'an**

Kata akan disebutkan dalam Al-Qur'an dua puluh sembilan kali, ditulis dalam tiga belas surat dari Al-Qur'an dan dalam berbagai rumusan yang berguna, yang berarti penegasan suatu masalah dan komitmen selanjutnya untuk perintah, karena itu mencakup semua makna kebaikan dan kebenaran bersama .dengan validitas keyakinan dan integritas penerapan

Berikut ini adalah tabel kata-kata kehendak dalam :Alquran

Surat Al-Baqarah – ayat: 132, 180, 182, 204 .1

Surat An-Nisa – ayat: 11, 12, 131 .2

Surat Al-Ma'idah – ayat: 106 .3

Surat Al-An'am – ayat 144, 151, 152, 153 .4

Surat Maryam – ayat: 31 .5

Surat Al-Ankaboot – Ayat 8 .6



وَأَمَّا الْفِتْيَانَ الَّذِينَ هَدَيْنَا لَكُم مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا لِمَ نَجِّنَا مِنْ آلِ فِرْعَانَ وَلِمَا جَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبِيِّينَ أَتَىٰ الْفِرْعَوْنَ وَمَنْ يُشْرِكْ أَتَىٰ سَعِيرًا ۖ فَذُكِّرُوا بِالْحَقِّ وَنُجِّيَهُم مِّنْهُ وَكُفِّرْ سَعِيرًا ۚ وَمَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَلَا فِي الْفَوْزِ وَهُوَ فِي الْأَعْيُنِ عَنِينٌ ۙ

Dalam istilah "perintahmu" dari kebaikan dan kasih sayang, Yang Mahakuasa menjadikan mereka penjaga dari apa yang Yang Maha Kuasa tidak sembunyikan .dari kebajikan

Dan contoh lainnya, perintah Tuhan Yang Maha Esa kepada tuan kami Essa, saw, dalam Surat Maryam ﴿مَرْيَمَ إِذْ نَادَتْ بِرَبِّهَا فَسَمِعَتْ ۚ فَأَنبَأَهَا أَنَّهُنَّ كَاتِبَاتٌ لِّقَوْمٍ يَّتَّقُونَ ۚ لَمْ يَكُن لَّهُنَّ الْوَسْوَاسُ الْكَاذِبُونَ ۚ فَكَتَبْنَا لَهُنَّ فِي الْكِتَابِ الْإِسْمَ الْكَامِلَ ۚ إِنَّهُنَّ عِندَ رَبِّكَ يُدْرِكْنَ الْمَوَدَّةَ الْعَظِيمَ ۚ وَلَهُنَّ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۚ وَتِلْكَ الْقُرَّةُ الَّتِي كُنَّا نُنزِّلُ لَكَ فِيهَا الْمَدْيَنَ وَالْحَمْدَ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو الْوَسْوَاسِ الْكَافِرِينَ ۚ﴾

Atas kehendak orang tua, Yang Mahakuasa berkata ﴿وَأَمَّا الْفِتْيَانَ الَّذِينَ هَدَيْنَا لَكُم مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا لِمَ نَجِّنَا مِنْ آلِ فِرْعَانَ وَلِمَا جَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبِيِّينَ أَتَى الْفِرْعَوْنَ وَمَنْ يُشْرِكْ أَتَى سَعِيرًا ۖ فَذُكِّرُوا بِالْحَقِّ وَنُجِّيَهُم مِّنْهُ وَكُفِّرْ سَعِيرًا ۚ وَمَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَلَا فِي الْفَوْزِ وَهُوَ فِي الْأَعْيُنِ عَنِينٌ ۙ﴾

□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □ □□□□□  
 □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □

Jika kita kembali ke konteks ketiga ayat tersebut, kita menemukan bahwa susunan kata dari perintah tersebut menunjukkan arti dari perintah – melalui penegasan – dengan hasutan untuk mengambil dan .menindaklanjutinya

Dengan demikian, kami menemukan bahwa konsep wasiat dalam Al-Qur'an Mulia tidak hanya terbatas pada apropriasi Anda ditambahkan pada apa yang datang setelah kematian, dan itu juga tidak terbatas pada apa yang mengarahkan seseorang kepada penerusnya dalam hal ini, tetapi lebih meluas digunakan dalam pepatah yang murah hati dan penuh kasih yang berguna dan bermanfaat untuk apa yang . dibutuhkan dari kebajikan jiwa dan perilaku

**Ketiga: Konsep kehendak dalam hadits Nabi yang mulia**

Konsep kata wasiat dalam hadits tidak berbeda dengan apa yang dinyatakan dalam Al-Qur'an. Kebaikan dan kebaikan untuk orang lain sebagai .kewajiban

Contohnya adalah apa yang diriwayatkan atas otoritas Al-Arbad ibn Sariyah, semoga Tuhan meridhoi dia :yang bersabda

Utusan Tuhan, semoga Tuhan memberkatinya dan memberinya kedamaian, mendoakan kami suatu hari nanti, kemudian dia datang kepada kami, jadi kami menyampaikan khotbah yang fasih dari mana mata dan hati basah kuyup, jadi dia berkata: Ya Utusan Tuhan seolah-olah ini adalah nasihat perpisahan, apa yang dia percayakan kepada kami? Dia, damai dan berkah besertanya, berkata: “Aku menasihatimu untuk takut akan Tuhan, dengarkan dan patuhi, dan .aku adalah budak ghetto

**Banyak, Anda harus mematuhi Sunnah dan Sunnah khalifah Mahdi, dan menaatinya dengan yang diurapi, dan Anda dan pembaruan masalah, karena setiap inovasi adalah bid'ah, .dan setiap bid'ah adalah khayalan Pepatah mereka "Kami memerintahkan kami" dengan berkabung atas keinginan yang menyeluruh sudah cukup, karena ketika**

mereka memahami bahwa dia adalah seorang penyimpan, mereka merekomendasikan sebuah perintah yang akan bermanfaat bagi mereka untuk menaatinya setelah dia, dan itu akan cukup bagi mereka yang berpegang teguh padanya dan kebahagiaannya di dunia ini dan akhirat, dan perkataannya, saw, "Aku menasihatimu untuk takut akan Tuhan, dengarkan dan patuhi." Kedua kata ini menggabungkan kebahagiaan dunia ini dan . . . menggabungkannya dengan akhirat

Dari sini menjadi jelas bagi kita bahwa penggunaan kata anjuran dalam hadits mulia tidak berkaitan dengan apa yang dilakukan seseorang dalam apa yang dia lakukan dengan anak-anaknya atau dengan uangnya setelah kematian, tetapi juga mencakup setiap perintah untuk melakukan sesuatu atau membiarkannya untuk apa yang baik dan bermanfaat bagi yang diperintahkan sebagai kewajiban sambil menghasut ritme dan bertindak atasnya. Untuk .diperhatikan mereka

**Topik kedua**  
**Hubungan kemauan dan nasehat dan**  
**perbedaan di antara keduanya**

**Yang pertama: konsep teks**  
**Asal usul nasehat dalam bahasa: Al-Khulas, dan**  
**itu dari perkataan mereka, "Dia menasehati dia**  
**dengan kasih sayang," artinya saya ikhlas.**  
**Konselor berarti arti murni dari madu dan hal-**  
**hal lain, dan semuanya diselamatkan, dia telah**  
**menasehati, dan pertobatan yang tulus, yang**  
**berarti kesimpulan, dan dikatakan bahwa**  
**.hamba tidak kembali ke tempat dia bertobat**  
**Nasihat adalah kata yang komprehensif yang**  
**mengungkapkan niat baik dan niat baik dalam**  
**kata-kata atau tindakan, dan sering digunakan**  
**untuk mengatakan bahwa itu mengingatkan**  
**penerima tentang apa yang akan**  
**.menguntungkan dan menangkal bahaya**

Oleh karena itu, kata “nasehat” dalam Al-Qur'an seringkali muncul setelah berbicara tentang pemandangan yang membangkitkan makna kebaikan dan kebajikan dalam jiwa, yang mengaitkan makna moral dengan konsep nasehat. Dan dari itu adalah pepatah Yang Maha Kuasa, di lidah Tuan Nuh kita, saw, ﴿ kepada umatnya. Dia berkata:

. Makna ﴿

ini sangat dekat dengan makna wasiat yaitu masing-masing menginginkan manfaat dari penerima penawaran, dengan perbedaan kesamaan masing-masing – seperti yang akan .disebutkan di bawah ini

Hal ini menegaskan keterkaitan maknanya dengan konsep wasiat dan nasehat serta kedekatannya dalam Al-Qur'an yang agung, yaitu menyelidiki suatu perbuatan atau perkataan yang di dalamnya kebaikan pemiliknya dengan segenap ikhlas niatnya, bebas dari kelalaian dan korupsi, tetapi

sebagian besar dari apa yang disebut ungkapan .itu adalah kebaikan pemiliknya

**Kedua: hubungan nasihat dengan kemauan dan perbedaan di antara keduanya**

**Sebuah. Hubungan nasihat dengan perintah**

**Ada hubungan antara nasehat dan kemauan yang mengikat satu sama lain, dari hubungan ini**

**Baik nasehat dan keinginan umumnya .1**

**bertujuan pada satu tujuan, yaitu untuk mereformasi individu sambil membimbingnya di jalan yang lurus dengan memanggil kebenaran, dengan niat murni untuk mendekat kepada Tuhan saja**

**Bahwa masing-masing nasihat dan perintah .2 memiliki gaya yang mirip dan dalam kalimat yang pendek dan halus, yang dimaksudkan untuk klarifikasi dan kemudahan pemahaman**

**B. Perbedaan antara nasihat dan perintah**

**Namun, nasihat mungkin berbeda dari surat wasiat dalam beberapa hal, termasuk**

1. Perintah itu lebih umum daripada teks, jadi .1  
setiap teks adalah kehendak, tidak setiap  
.perintah adalah teks

2. Perintah itu dituntut untuk memperhatikan .2  
suatu masalah dan menekankannya dengan  
keharusan untuk mematuhi, sehingga  
paling sering warisan tidak diberikan kecuali di  
tempat yang dikhawatirkan akan terlewat,  
maka dia menjadikan masalah itu dengan  
takwa sebagai perintah dalam pepatah Yang  
Maha Kuasa

Adapun nasihat, keinginan untuk mematuhi  
dan memperingatkan dia tentang dosa, dan  
secara umum nasihat berkisar pada dua hal, dan  
itu adalah: pertama – mendapatkan minat, yang  
merupakan pemenuhan dari apa yang baik, dan  
kedua – menangkal kejahatan dan  
menghilangkan kejahatan. Imam Al-Razi  
berkata tentang nasehat dalam tafsirnya:  
"Menyampaikan kepada kepentingan dengan  
".maksud yang jelas

## Topik ketiga Mendefinisikan konsep surat wasiat

Setelah kita selesai menjelaskan apa yang berhubungan dengan kemauan dan hubungannya dengan nasehat, kita ingin mendefinisikan pada akhirnya konsep wasiat.

Konsep kehendak yang kita maksudkan bukanlah perintah dalam konsep yurisprudensi yang dibatasi pada “kepemilikan ditambah setelah kematian,” melainkan segala sesuatu yang dapat dihadirkan dalam bentuk perkataan yang mencakup kebaikan dan kebaikan bagi sesama, karena kehendak pada umumnya ditujukan untuk reformasi, penerimaan amal saleh dan penyebaran kebajikan.

Berdasarkan apa yang telah kami katakan, kata wasiat tidak hanya digunakan dalam kaitannya dengan apa yang dia hadapi kepada penerusnya

**jika terjadi kematian, tetapi penggunaan yang lebih luas dalam setiap pepatah tersayang yang pewarisnya ingin mengarahkannya kepada .orang yang direkomendasikan kepadanya**

**Menurut pendapat penulis, konsep wasiat dapat diartikan sebagai "perjanjian kepada hal yang direkomendasikan untuk dilakukan, disarankan merawatnya dan merawatnya karena beratnya kebaikannya dan pewaris memiliki keberuntungan dan manfaat, dan dengan demikian metode kehendak lebih merangsang untuk melakukan apa yang diminta. Kehendak adalah siapa pun yang memerintahkannya .untuk berbuat baik**